أثر الدعوة السلفية

في توحيد المملكة العربية السعودية

بقلم
د. حمود بن أحمد الرحيلي
الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه وَمَنْ سار على نهجه وتمسك بسُنته إلى يوم الدين.

أما بعد ..

فإن العقيدة هي القاعدة الأساس لهذا الدين، وهي مناط النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومما لاشك فيه أن تصحيح العقيدة هو الطريق الوحيد، لإقامة المجتمع المسلم المتآلف، ولا سبيل إلى اجتماع كلمة المسلمين، ووحدة صفوفهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، إلا بالرجوع إلى الإسلام الصحيح المأخوذ من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ولما كان المسلمون متمسكين بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، توحدت كلمتهم، وقويت شوكتهم، وعزّ سلطانهم، وأناروا الطريق، وألّف الله بينهم بالإسلام، فكانوا مصابيح هداية، ومشاعل نور البشرية.

ثم نشأت البدع بعد ذلك في وقت مبكر من صدر الإسلام، فنشأ التشيع في أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم بدأ ظهور فِرَق البدع شيئاً فشيئاً، فأنكر الصحابة ومَن بعدهم من سلف الأمة هذه البدع وشنّعوا على أصحابها في خروجهم من السنّة، وحذّروا الناس منهم.

ولم يخل الله تعالى قرناً من القرون التي كثرت فيها الشركيات والبدع من علماء ربّانيين، ودعاة مصلحين، يُجدِّدون لهذه الأمة أمر دينها على رأس كل قرن، وذلك مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كُل مائة سنة من يجدد لها دينها"[١].

وكان من الأئمة المجددين الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهما من الأئمة الأعلام رحمهم الله.

وفي القرن الثاني عشر الهجري ظهر الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فدعا إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ونبذ البدع والمعاصي. واستمر رحمه الله مجاهداً في دعوته، صابراً على ما يواجهه، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكان على رأس من نصر الدعوة وأيدها الإمام الهمام محمد بن سعود جد الأسرة الحاكمة تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته فبارك الله في هذه الدعوة، وآتت ثمارها يانعة طيبة، لا يزال الناس يستظلون بظلالها، ويجنون ثمارها إلى اليوم.

وقد بذل أئمة وعلماء الدولة السعودية في دوريها الأول والثاني جهوداً كبيرة في نصرة العقيدة الصحيحة، وبيانها للناس، وإقامة الجهاد على أعداء الإسلام وأعداء الدعوة.

وقد أبطل الله كيد أعداء هذه الدعوة المباركة الذين كرهوا الحق، وعادوا أهله بكل ما أُوتوا من قوة لإخمادها، والقضاء عليها، وباءت وسائلهم بالخيبة والفشل، لأن الله تعالى مُتِمٌّ نوره، وناصر دينه ولو كره الكافرون.

فحقق الله سبحانه لعباده المؤمنين وعده بالنصر والتمكين على يد الملك الهمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله رحمة واسعة، حيث استطاع بفضل الله تعالى وعونه توحيد البلاد تحت راية التوحيد التي رفعها عالية خفّاقة على أرض الجزيرة، فأعزّ الله به أهلها بعد أن كانوا أذلة، وأغناهم به بعد أن كانوا عالة، وانتشر فيهم العلم بعد الجهل، وحلت العقيدة الصحيحة مكان العقائد الفاسدة، واستتب الأمن بعد أن كان مفقوداً، وصحت أجسامهم بعد أن كانت الأوبئة والأمراض تفتك بالأسر والجماعات.

ونظراً لأهمية الموضوع، ولِما للدعوة السلفية التي أحياها الملك عبد العزيز رحمه الله من دور عظيم في توحيد أمة قوية متماسكة البنيان وإقامة كيان كبير قوي الأسس والأركان، بعد أن

---

١ أخرجه أبو داود في سننه 480/4 ، كتاب الملاحم، باب 1 . والحاكم في المستدرك 522/4 عن أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الشيخ عبد العزيز بن باز: "هذا الحديث إسناده جيّد رجاله كلهم ثقات، وقد صححه الحاكم والحافظ العراقي والعلامة السخاوي وآخرون".
انظر هامش كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر آل أبو طامي ص10.
وقال الألباني في السلسلة الصحيحة 148/2 : سنده صحيح ورجاله ثقات، رجال مسلم. وقال عبد المتعال الصعيدي: قال السيوطي: "اتفق الحُفّاظ على صحته منهم الحاكم في المستدرك، والبيهقي في المدخل، ونص الحافظ بن حجر على صحته". انظر: المجددون في الإسلام ص89 .

كان مُفرّقاً ومُمزّقاً وعرضة للأعداء، الطامعين من كل مكان، وقيام هذه الدولة على هذه الدعوة المباركة.

ونظرا لمحبتي لهذه الدعوة، ومحبتي لأهلها وأنصارها، ورغبة في المشاركة في إظهار هذه الدعوة ودورها المميز فيما قامت به في الماضي، وما تقوم به في الوقت الحاضر، من الدعوة إلى تصحيح العقيدة، وإصلاح أخلاق الناس وآدابهم، والدعوة إلى الائتلاف، وجمع الصفوف، واتفاق الكلمة، ونبذ الفُرقة والاختلاف، بالإضافة إلى أني لم أجد من كتب في هذا الموضوع كتابة مستقلة على حد علمي القاصر مع أهميته.

وأن ما نعيشه في هذا العهد السعودي الميمون من أمنٍ واستقرارٍ، ونعمة ورخاء، ما هو إلا بفضل من الله تعالى، ثم بصدق وإخلاص آل سعود، نسأل الله تعالى لهم العون والثبات.

فلهذه الأمور رغبت في الإسهام بالكتابة في هذا الموضوع بمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، تحت عنوان: "أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية".

وأنا أعلم يقيناً أنّ مثلي لن يعطي هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة، نظراً لضيق الوقت، وقلة البضاعة، وقد تطفلت في ذلك على العلماء الأفاضل، والمشايخ الأكارم، ولكني أحببت أن أنهل من موردهم، وأستفيد من علمهم وجهودهم، فجزاهم الله عنّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

خطة البحث:

وقد قسّمتُ البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

وقد اشتملت المقدمة على سبب الاختيار، والخطة، ومنهجي في البحث.

واشتمل التمهيد على التعريف بالدعوة السلفية، وضرورة الدعوة إليها.

وأما الفصل الأول: فقد جعلته عن الدعوة السلفية في الدورين الأول والثاني للدولة السعودية وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولقائه بالإمام محمد بن سعود.

المبحث الثاني: عن الدعوة السلفية في الدور السعودي الثاني.

وأما الفصل الثاني: فكان عن أهم العوامل التي ساهمت في قيام الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبد العزيز. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دور العلماء في نشر الدعوة السلفية.

المبحث الثاني: السمعة الطيبة للدولة السعودية في عهودها السابقة.

المبحث الثالث: تطلُّع المجتمع إلى قيام دولة تصحح العقيدة، وتُطبّق الشريعة، وتقيم الأمن والعدل.

وأما الفصل الثالث: فكان عن شخصية الملك عبد العزيز وتوحيد المملكة وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شخصية الملك عبد العزيز وأثرها في توحيد المملكة.

المبحث الثاني: سير الملك عبد العزيز على منهج السلف الصالح.

المبحث الثالث: توحيد الملك عبد العزيز للمملكة.

وأما الفصل الرابع: فقد كان عن أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة، وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: اتخاذ الملك عبد العزيز الكتاب والسنة دستوراً لبلاده.

المبحث الثاني: تقريب الملك عبد العزيز للعلماء ومشاركتهم.

المبحث الثالث: تقرير الملك عبد العزيز للدعوة السلفية ونشرها.

المبحث الرابع: القضاء على أسباب الشرك ومحاربة الأفكار الهدّامة.

المبحث الخامس: نشر العلم وطباعة الكتب القيمة.

المبحث السادس: تطبيق الشريعة وإقامة الحدود.

المبحث السابع: الأخذ بمبدأ الشورى.

المبحث الثامن: توطين البادية والمؤاخاة بين القبائل.

المبحث التاسع: القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث العاشر: التعاون بين الراعي والرعية.

وأما الخاتمة: فقد أوجزتُ فيها أهم نتائج البحث ومحتوياته.

ثم ألحقتُ به الفهارس التالية:

١) فهرس المصادر والمراجع.

٢) فهرس الموضوعات.

هذا ولا يفوتني أن أقول: إن هذا جهد المُقِلّ، فما كان فيه من صوابٍ فهو من فضل الله وتوفيقه لي، وأشكره سبحانه على ذلك. وما كان فيه من خطأٍ، فأستغفر الله منه وأتوب إليه. وأرجو ممن قرأه ووجد فيه خللاً أن يُنبهني إليه امتثالاً لقوله تعالى: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}**[٢]. وسأكون شاكراً لنصحه وتوجيهه، وله من الله الأجر والمثوبة.

---

٢ المائدة 2 .

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في موازين أعمالي يوم ألقاه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم،،

تمهيد :

في تعريف الدعوة السلفية وضرورة الدعوة إليها:

تعريف الدعوة:

الدعوة في اللغة: المرة الواحدة من الدعاء، وتداعى القوم دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا. والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين أدخلت الهاء فيه للمبالغة[٣] .

وفي تهذيب اللغة: المؤذن داعي الله، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته[٤] .

قال عز وجل مخبراً عن الجِنِّ الذين استمعوا القرآن وولّوا إلى قومهم منذرين **{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ}**[٥].

وفي تاج العروس: "ودعوة الحق شهادة أن لا إله إلا الله"[٦].

وفي المصباح المنير: "دعوتُ الله دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً ناديته وطلبت إقباله. والجمع دعاة وداعون مثل قضاة وقاضون، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الخلق إلى التوحيد"[٧] .

وفي المعجم الوسيط: "دعاه إلى الشيء حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب، حثه على اعتقاده"[٨].

ومن هذا يتبين أن الدعوة في اللغة تدور حول الطلب والسؤال والنداء والحث على الشيء ونحو ذلك.

وهي تستعمل في الخير والهدى، كما في قوله تعالى: **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**[٩].

وقوله عز وجل: **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}**[١٠].

والدعاة قوم يدعون إلى هدى أو ضلال، ويصدق على هذا ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجُور من تبعه، لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً"[١١] . إلى غير ذلك من الأدلة في هذا المعنى، ولذلك لابُد من معنى الدعوة الاصطلاحي لتوضيحها وتمييزها.

تعريف الدعوة في الاصطلاح:

عرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبُد ربه كأنه يراه"[١٢].

وقد عرَّفها المتأخرون[١٣] بتعريفات عديدة، لا يخلو أكثرها من نظر. وتعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أعم وأشمل.

وزيادة في الإيضاح يمكن تعريف الدعوة في الاصطلاح بأنها: قيام من له الأهلية بدعوة

---

٣ لسان العرب لابن منظور 258/14 .

٤ تهذيب اللغة لأبي منصور 120/3

٥ الأحقاف: 31 .

٦ تاج العروس للزبيدي 128/1 .

٧ المصباح المنير لأحمد الفيومي ص194.

٨ المعجم الوسيط 286/1.

٩ يوسف: 108.

١٠ فصلت: 33.

١١ صحيح مسلم 2060/4 كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم2674.

١٢ مجموع الفتاوى 157158/15 .

١٣ انظر مثلاً: تذكرة الدعاة للبهي الخولي ص 35، الطبعة السادسة، مكتبة الفلاح، الكويت. والدعوة الإسلامية لأبي بكر ذكرى، ص8، مكتبة دار العروبة، القاهرة، مع الله للغزالي ص17، المكتبة الإسلامية، الدعوة الإسلامية لأحمد غلوش ص10 وما بعدها، دار الكتاب المصري، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم لمحمد الحبيب ص27، الطبعة الأولى.

الناس جميعاً لاقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً واعتقاداً بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمانٍ ومكان.

تعريف السلفية أو "السلفيين":

السلف في اللغة: "السين، واللام، والفاء: أصل يدل على تقدم وسبق"[١٤].
وفي اللسان: "السلف جمع سالف المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون"[١٥].
وفي النهاية: "سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"[١٦] .
ومنه قوله تعالى: **{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ}**[١٧]. قال البغوي في تفسيرها: ".. والسلف: من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون"[١٨] .

تعريف السلف في الاصطلاح:

قال الإمام السفاريني: "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناسُ كلامَهم خلفاً عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مُرض، مثل الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء"[١٩].
فهذا الاصطلاح "اشتهر حين ظهر النزاع، ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف، وأعلن أن ما هو عليه هو ما كان عليه السلف الصالح، فإذن لابد أن تظهر والحالة هذه أُسس وقواعد واضحة المعالم، وثابتة للاتجاه السلفي، حتى لا يلتبس الأمر على كلٍّ من يريد الإقتداء بهم، وينسج على منوالهم"[٢٠].
وإذا قيل: السلف أو السلفيون أو لجادتهم السلفية، فهي هنا نسبة إلى السلف الصالح جميع الصحابة رضي الله عنهم فمن تبعهم بإحسان، دون من مالت بهم الأهواء بعد الصحابة رضي الله عنهم من الخُلُوف الذين انشقوا عن السلف الصالح باسم أو رسم.."[٢١] .
فالمراد من التعبير بالسلفية هو اتباع طريقة السلف الصالح من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والتابعين لهم، والسلفيون هم أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على فهم السلف الصالح. قال تعالى **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**[٢٢]. وفي الحديث عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليكم بسُنتي وسنّة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كُلَّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[٢٣] .
ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في حقيقتها إحياء لعقيدة السلف الصالح المشار إليها، وتجديدٌ لِمَا اندثر منها بعدما طُمست معالمها، وشُوِّهت حقيقتها، فهي دعوة تهدف إلى تصحيح العقيدة الإسلامية، وتطهيرها مما علق بها من أدران الشرك والبدع والخرافات، وإقامة مجتمع إسلامي يؤمن بالإسلام عقيدةً، وعبادةً، وشريعةً، ومنهج حياة.
وقد بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ذلك في رسالته للشيخ السويدي أحد كبار علماء العراق فقال: ”إنّي والحمد لله مُتّبع ولستُ بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة"[٢٤].

ضرورة الدعوة إلى اتباع منهج السلف الصالح:

إن الله تعالى قد بعث نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ولم يكن خافياً ما كان عليه أهل الأرض قبل البعثة وخاصة العرب

---

١٤ معجم مقاييس اللغة لابن فارس 95/3 .
١٥ لسان العرب 158/9 .
١٦ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 390/2، وانظر: القاموس المحيط 153/3.
١٧ الزخرف : 56 .
١٨ تفسير البغوي 218/7 .
١٩ لوامع الأنوار 20/1 .
٢٠ كتاب الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص5758 .
٢١ حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية لبكر أبي زيد ص36.
٢٢ التوبة: 100 .
٢٣ سنن أبي داود، كتاب السنة 13/5 رقم 4607، الترمذي، كتاب العلم 44/5 رقم 2676، ابن ماجه، المقدمة 16/1 رقم 4243، السنة لأبي عاصم ح:2634. وقد صححه الألباني. انظر: إرواء الغليل 107/8.
٢٤ انظر مؤلفات الشيخ، القسم الخامس الرسائل الشخصية ص36 طبع جامعة الإمام، 1398ه، الرياض.

من شرك، وكفر، وتفرُّق، وضلال مبين، وذلك كما وصفهم الله تعالى بقوله: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ}[٢٥].

فقام فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وعشرين سنة يدعو إلى توحيد الله وعبادته، وأرشدهم إلى سلوك الصراط المستقيم. وجاهد في ذلك حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، وأشرقت الأرض بنور ربها، وأصبح المسلمون أمة واحدة، اجتمعت كلمتهم، وقويت شوكتهم، وتوحَّدت قلوبهم على الصراط المستقيم، وألف الله بينهم بالإسلام قال عزَّ وجلَّ: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٢٦].

ولم يفارق النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا حتى أتم الله به النعمة، ورضي للبشرية الإسلام ديناً، وبيَّن للأمة كل ما فيه صلاح دينها ودنياها، وتركها على المحجَّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاَّ هالك.

وقد حمل الراية من بعده صحابته الكرام، وفي مقدمتهم الخلفاء الرَّاشدون، فجاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله بما استطاعوا من قوةٍ علمية وعملية، حتى انتشر الإسلام في أنحاء الأرض.

وهكذا لم يزل أهل السُنة والجماعة معتصمين بحبل الله، وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، سائرين على منهج الصحابة رضوان الله عليهم، في إبلاغ دين الله ونشره بين الناس على بصيرة، حتى بلغوا مشارق الأرض ومغاربها.

وبعد انقضاء القرون الأولى المفضلة، كثرت البدع والخرافات، والعودة إلى الوثنية، وذلك بتعظيم المشاهد والقبور، وصرف العبادة لها من دون الله، وتقديم الآراء والتقليد على الأخذ من الكتاب والسنة، حتى اشتدت غربة الإسلام في غالب الأحوال.

إلا أنّ الله تعالى جعل دينه باقياً إلى قيام الساعة، وذلك كما ورد في الحديث الصحيح عن معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك"[٢٧].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة"[٢٨].

لذلك فإنّ الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة ومنهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان لهو الأمر الذي يجب اتباعه، وذلك هو طريق الطائفة المنصورة، وهي الفرقة الناجية، ويطلق عليهم أهل السُنة والجماعة، حيث أصبح هذا الاسم علماً عليهم، مهما حاولت بعض الفِرق الأخرى الانتساب إليه.

قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[٢٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كُلها في النار إلاّ واحدة" قيل: مَن هي يا رسول الله؟ قال: "منْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"[٣٠].

ومع شدة الحاجة إلى الدعوة إلى الله عز وجل، فإن ضرورة الدعوة إلى منهج السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، أشد، وذلك لتنقية العقيدة مما شابها وعلق بها من البدع والأهواء، وتصحيح مسارها من الانحرافات والخرافات التي حادت بها عن حقيقتها وأصالتها.

والعودة بالإسلام إلى صفائه ونقائه، وإقامة مجتمع مسلم يؤمن بالإسلام عقيدةً وشريعةً، ومنهج حياة، في ظل دولة إسلامية تُطبِّق شرع الله في جميع نواحي الحياة.

وهذا ما هدفت إليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله[٣١].

---

٢٥ آل عمران : 164 ، والجمعة: 2 .

٢٦ الأنفال : 6263 .

٢٧ صحيح البخاري مع الفتح كتاب المناقب 632/6 رقم 3641، وصحيح مسلم كتاب الإمارة 1453/3 رقم الحديث 1822.

٢٨ صحيح مسلم كتاب الإمارة 1453/3 رقم 1822، وسنن أبي داود 471/4 كتاب المهدي، رقم 4278.

٢٩ الأنعام : 153 .

٣٠ سنن أبي داود، كتاب السنة 4/5 رقم4596، الترمذي، كتاب الإيمان 2526/5 رقم 2640، 2641، ابن ماجه، كتاب الفتن 1321/2 رقم 39913993، أحمد 332/2، 120،145/3، 120/4، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة 480/3.

٣١ انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، للدكتور محمد السلمان ص34.

تابع لأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية

الفصل الأول

الدعوة السلفية في الدورين الأول والثاني للدولة السعودية

المبحث الأول: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح ولقائه بالإمام محمد بن سعود:

نشأ الإمام العلامة والداعية المجدِّد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، في القرن الثاني عشر، في زمنٍ اشتدت فيه غربة الإسلام، وغلب على أهله الجهل والبدع والخرافات، وعبادة الأنبياء والصالحين، والأشجار والأحجار، وقلّ فيه مَنْ يصدع بالحقِّ، ويشرح للناس حقيقة التوحيد الذي بعث الله به الرُّسل، وأنزل به الكتب، ويحذِّرهم من أنواع الشرك المنافية لدين الإسلام..

قام هذا الإمام ـ رحمه الله ـ داعياً إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، وتجريد المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال، ولم يزل ـ رحمه الله ـ مجاهداً بقلمه ولسانه، صابراً على ما يلقاه من أذى، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مستمراً في الدعوة والبيان، وإيضاح الحق بأنواع الأدلة من الكتاب والسنة، وشرح حال سلف الأمة، وبذل كل غالٍ ونفيس لتجديد أمر الدين وإعادة الإسلام إلى صفائه ونقائه[١] .

وقد ثار عليه الحاسدون والحاقدون من أدعياء العلم، والأمراء الجُهَّال، والعوام، وعزموا على القضاء عليه وعلى دعوته الإصلاحية في مهدها، مما اضطرَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أن يلجأ إلى الدرعية ـ التي كانت تحت إمرة الإمام محمد بن سعود ـ ولما وصلها الشيخ استقبله الإمام محمد بن سعود ـ جد الأسرة السعودية أعزها الله وأدامها ـ استقبالاً طيباً، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وألقى الله سبحانه في قلبه المحبة للشيخ، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده وقال له:

"أبشر ببلاد خيرٍ من بلادك، وأبشر بالعزِّ والمنَعة".

فقال الشيخ :

"وأنا أُبشرك بالعز والتمكين، وهذه الكلمة ـ لا إله إلا الله ـ مَن تمسك بـها وعمل بـها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأوَّل ما دعت إليه الرُّسل مِن أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى نجداً وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم لبعض، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك".

عند ذلك قال الإمام محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب:

"يا شيخ. إنّ هذا دين الله ورسوله، الذي لاشك فيه، وأبشر بالنُّصْرة لك ولِما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد"[٢].

وقد كان الإمام محمـد بن سعـود رجلاً حكيماً، حسـن السياسة، قد قضى على دسائس المنافسين في الداخل، والدفاع ضد الأعداء الطامعين من الخارج.. يثبت ذلك استقرار إمارة الدرعية عشرين سنة في عهده قبل مبايعة الشيخ له. وقد كان معروفاً بالوفاء، مشهوراً بذلك..

ثم إن الإمام محمد بن سعود قد أدرك بصفاء بصيرته، وسلامة تفكيره، صحة ما يدعو إليه الشيخ من نصرة دين الله، والقيام بتوحيده، وإصلاح الدين والدنيا معاً، فقام بنصرته.

وأصبح الإمام محمد بن سعود هو المؤسس لدولة آل سعود الأولى، وهو الذي سنّ سُنّةً حسنة لبنيه بمناصرة دين الله، وإكرام علماء السنة، وتطبيق الشريعة[٣].

ومن ثم قام الإمامان الجليلان الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود ـ رحمهما الله ـ وأنصارهما بكل ما أُوتوا من قوة العلم والإيمان، بنشر هذه الدعوة المباركة، ورفع راية الجهاد على من وقف في طريق الدعوة.

واستمر الشيخ ـ رحمه الله ـ في الدعوة إلى الله عز وجل، وتدريس العلوم الشرعية للطالبين، وكشف الشبهات التي يروجها الكفار والملحدون من عُبَّاد القبور وغيرهم، ويُشجِّع على الجهاد بأنواعه، ويشارك بنفسه وأولاده، ويؤلف المؤلفات النافعة والرسائل المفيدة في بيان العقيدة الصحيحة، وردّ ما يخالفها بأنواع الأدلة، حتى ظهر دين الله، وانتصر حزب الرحمن، وذلّ حزب الشيطان، وانتصرت العقيدة السلفية في الجزيرة العربية وما حولها وكثر الدُّعاة إلى الحق، ونُكِّست أعلام البدع والشرك والخرافات، وقام سوق الجهاد، وعُمِّرت المساجد بالصلوات والدروس

---

١ انظر مقدمة الشيخ عبد العزيز بن باز على كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي ص3ـ4.

٢ انظر: تاريخ نجد، لحسين بن غنام، تحرير وتحقيق د0 ناصر الدين الأسد ص87، وعنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر 12/1.

٣ انظر : عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبد الله العبود ص511ـ512.

الإسلامية النقية[٤] .

وكان أهل الدرعية في غاية الجهالة، وقد وقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك الأكبر والأصغر، والتهاون بالصلاة والزكاة، ورفض شعائر الإسلام[٥] .

فتخولهم الشيخ بتعليمهم وتلقينهم التوحيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر بتعليم معنى (لا إله إلا الله)، وأنـها نفيٌ وإثبات، فـ(لا إله) تنفي أن يكون هناك معبوداً بحق، و(إلا الله) تثبت العبادة لله وحده لا شريك له، ثم أمرهم بتعليم الأصول الثلاثة، وهي معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه صلى الله عليه وسلم[٦].

ثم إن الشيخ كاتب أهل البلدان ورؤساءهم وقضاتهم، ومُدَّعي العلم منهم، فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذه سخرياً واستهزأ به، ونسبه إلى الجهل وعدم المعرفة، ومنهم من نسبه إلى السحر، ومنهم من رماه بأشياء وهو بريءٌ منها[٧].

وبتحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الإمام محمد بن سعود، قامت في قلب الجزيرة العربية بعد نيفٍ وألف سنة من انتهاء عهد الخلفاء الراشدين دولة تحكم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالقدوة الحسنة المتوارثة عن السلف الصالح.

وفي توافق تام التأمت الإمامة الشرعية والسياسية الحكيمة في هذا الكيان السياسي الجديد، الذي شهدته بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، ونشأ في قلب الجزيرة مجتمع هذّب الإسلام جوانبه، وقوّم اعوجاجه، وأزال نقائصه.

وقد اتسعت رقعة الدولة السعودية الأولى اتساعاً هائلاً، وخاصة في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وسعود بن عبد العزيز، حيث وصلت حدود الدولة السعودية على أيام سعود بن عبد العزيز إلى جزر البحرين وعُمان وحتى مسقط..

واتسعت رقعتها في كل اتجاه بما في ذلك مدن الحجاز، حيث زالت سيادة الدولة العثمانية على الحرمين[٨] . وأصبحت كلها منطقة سعودية. أما من الناحية الجنوبية الغربية فقد انضمت إليها منطقة عسير، ثم تبعتها منطقة المخلاف السليماني (جازان)، كما أدخلت تحت نفوذها أجزاء كبيرة من أراضي إمام اليمن وبَلْدَانه المهمة، خاصة الساحلية، وقد ازداد توغلها في الساحل اليمني حتى أوشكت أن تستولي على عدن، ومن الجنوب امتدت رقعتها حتى الربع الخالي. بل إنّ غاراتها وصلت إلى مشارف حضرموت. أما من ناحية الشمال فقد أدخلت تحت طاعتها جميع أجزاء الجزيرة العربية الشمالية، ومدَّت لها نوعاً من النفوذ في أماكن من العراق والشام تمثل في دفع بعض القبائل هناك الزكاة إليها[٩].

وللإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي بويع إماماً للمسلمين بعد وفاة أبيه سنة 1179هـ[١٠] مكانة خاصة من أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، فمنذ كان صغير السن، كان له اهتمام بعلم الشيخ، فقد كتب للشيخ وهو بالعيينة يطلب منه أن يكتب له تفسير (الفاتحة) فكتبها له وهو إذ ذاك صغير السن قد ناهز الاحتلام[١١] .

"وكان عبد العزيز كثير الخوف من الله، كثير الذكر لله، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في لله لومة لائم، ينفّذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته، لا يتعاظم عظيماً إذا ظلم فيقمعه عن الظلم، وينفّذ الحق فيه، ولا يتصاغر حقيراً ظُلم فيأخذ له الحق ولو كان بعيد الوطن، وكان لا يكترث في لباسه ولا سلاحه.."[١٢] .

"وكان ـ رحمه الله ـ مع رأفته بالرعية، شديداً على من جنى جناية من الأعراب، أو قطع سبيلاً، أو سرق شيئاً من مسافر، بحيث مَن فعل شيئاً من ذلك أخذ ماله نكالاً أو شيئاً منه على حسب جنايته، وأدَّبه غير ذلك أدباً بليغاً"[١٣] .

"وكان يوصي عمّاله بتقوى الله، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع، وإعطاء الضعفاء والمساكين، ويزجرهم عن الظلم وأخذ كرائم الأموال"[١٤] .

وقد وصف الشيخ عثمان بن سندي البصري الفيلكاوي ـ الذي عاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ حالة الأمن في المناطق التي كان يحكمها آل سعود إذ ذاك بأنهم ـ أي آل سعود ـ قد أمنوا البلاد التي ملكوها، وصار كلُّ ما كان تحت حكمهم، حتى البراري والقِفار، يسلكها الرجل وحده على حماره بلا خفر، وخصوصاً بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم البعض،

---

٤ انظر: مقدمة الشيخ عبد العزيز بن باز على كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي ص4.

٥ عنوان المجد 14/1.

٦ المرجع السابق ، وانظر: الأصول الثلاثة.

٧ عنوان المجد 14/1.

٨ في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، د0 سليمان الحقيل ص18.

٩ تاريخ المملكة العربية السعودية، د0 عبد الله العثيمين 149/1ـ150.

١٠ انظر: عنوان المجد لابن بشر 49/1، تاريخ نجد ـ المسمى روضة الأفهام ـ لابن غنام ص129.

١١ انظر: تاريخ نجد، لابن غنام ص483.

١٢ عنوان المجد لابن بشر 126/1.

١٣ المرجع السابق 127/1.

١٤ المرجع السابق 129/1.

وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوان، أو أولاد رجل واحد، وهذا بسبب تأديبهم للقاتل والنّاهب والسارق، إلى أن انعدم هذا الشر في زمان ابن سعود".

هذه شهادة من رجل يعد من خصوم آل سعود، فهو من أعوان الدولة العثمانية، وله صلات قوية بولاة بغداد العثمانيين، ولا يمكن اعتباره ـ بأية حال ـ ذا صلة بآل سعود، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يقول كلمة الحق، وأن يؤرخ للأمن في شبه الجزيرة العربية، في سياق أحد مؤلفاته، ليثني على ما تحقق منه على أيدي أمراء آل سعود في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة[١٥] .

وفي سنة 1185هـ أرسل الإمام عبد العزيز، والإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف، لشرح المعتقد الصحيح وبيان حقيقة الدعوة، وذلك بناء على طلبه[١٦] .

وفي سنة 1211هـ أرسل الإمام عبد العزيز جماعة من أهل الدين والعلم المشهورين بحسن المناظرة بالبراهين، برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، إلى الشريف غالب، وذلك بناءً على طلبه أيضا[١٧]. إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة التي قام بها الإمام عبد العزيز..

وهكذا سار بقية أئمة الدور السعودي الأول على النهج السلفي الذي سلكه الإمام محمد بن سعود، والإمام محمد بن عبد الوهاب في نصرة الدين وبيان العقيدة الصحيحة للناس، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، وإقامة الجهاد على أعداء الإسلام، وأعداء الدعوة، وأمَّنوا البلاد التي ملكوها..

ولم تخلُ هذه الفترة من حروب شرسة شنّها أعداء الدعوة، من أجل الإطاحة بها، والقضاء عليها، إلاّ أن أصحاب الدعوة المباركة جاهدوا في الله جهاداً عظيماً، وأبلوا بلاءً حسناً، لتكون كلمة الله هي العليا، فأبطل الله كيد أعدائهم، وباءت بالفشل جميع وسائلهم وأساليبهم، والله متم نوره، وناصر دينه، ومعلي كلمته، ولو كره الكافرون.

المبحث الثاني: أثر الدعوة السلفية في الدور السعودي الثاني:

إنه على الرغم من هول النكبة التي حلّت بالدولة السعودية الأولى، والتي استمرت حوالي ست سنوات. فإن الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ لم تَمت ـ بحمد الله ـ ولم تفلح جهود الأعداء في النيل من تلك العزيمة الصادقة في سويداء قلوب الأسرة السعودية، فقد تمكن الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود سنة1240هـ من إعادة روح الجهاد ضد مَن أثار الفتن، وكشف الله بسببه المحن، واستطاع أن يكسر شوكة الطغاة، وينازل الأعداء، ويُطهر بلاده من دنس الاحتلال، ويعيد لها وحدتها وكرامتها بعد الفوضى والتفرق والانحلال، التي أضاعت جهوداً عزيزة بذلها آل سعود في سبيل العودة إلى منهج السلف الصالح، المتمثل في سلامة العقيدة، والتئام الصف، ووحدة الكلمة، والتحاب في الله. وطهر المجتمع مما أفسدته المشارب الدخيلة، ولهذا أصبح بحق مؤسس الدولة السعودية الثانية[١٨] .

يقول ابن بشر عن الإمام تركي بن عبد الله: "أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها، وهان على كثير من الناس دينها وإسلامها، كأنهم لم يكونوا حدثاً بإسلام، ولم يجتمعوا على إمام، وتهاون كثير منهم بالصلاة وأفطروا في البلدان في شهر رمضان، وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى أو شعبان، وتعذّرت بين البلدان الأسفار، واتخذوا دعوى الجاهلية لهم شعار، فحارب البلدان، وقاتل العربان، ودعاهم إلى الجماعة، والسمع والطاعة، حتى ضرب بجرانه، وسكنت الأمة في أمنه وأمانه"[١٩] .

"لقد استرد الإمام تركي مكانة آل سعود في الأحساء والبحرين، وأكد النفوذ السعودي في الساحل العماني، وكان ـ رحمه الله ـ مثلاً أعلى للعدل بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكان غيوراً على شرع الله، عظيم الإيمان، واثقاً من نصر الله، لقد جاهد هذا الإمام في الله حق جهاده، وجدد بناء الدولة السعودية، ورفع منارها عالياً".

"لقد جرب أهل نجد أنواعاً من نظم الحكم قبل العهد السعودي، وبعد انقضاء عهد الدولة السعودية الأولى، فذاقوا الأمَرَّين، لذا لم يترددوا في نصرة الحق، والالتفات حول راية التوحيد، التي يرفعها الإمام تركي، فمشوا تحتها لما توحي به من الثقة والاطمئنان، وهي ثقة تمت بفضل الله تعالى، ثم بفضل تطبيق الشريعة"[٢٠] .

ومن شيوخ الدعوة وعلمائها في هذه الفترة: الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ، وابنه الشيخ عبد اللطيف، والشيخ العلامة حمد بن محمد بن عتيق، والشيخ أحمد بن علي بن حسين الوهيبي في الأحساء، ومن المشايخ الذين لهم تأثير حسن ـ رغم ضعف المُناصر ـ في

---

١٥ الأمن الذي نعيشه، لحسين عبد الحي قزاز 25/1ـ26.

١٦ انظر: عنوان المجد 58/1ـ59.

١٧ انظر: تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام، لحسين بن غنام ص197ـ198.

١٨ انظر: في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، للدكتور سليمان الحقيل ص19.

١٩ عنوان المجد في تاريخ المجد 8/2 .

٢٠ في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية، للدكتور سليمان الحقيل، ص 19ـ 20، تاريخ الدولة السعودية، للدكتورة مديحة درويش ص58.

شرح عقيدة السلف الصالح في الحجاز الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المتوفى عام 1328هـ[٢١] .

ونستطيع القول بأن الدعوة السلفية ظلت قوية منصورة طوال حكم الدولة السعودية الثانية.

وقد واجه آل سعود في تلك الفترة ظروفاً قاسية، ومواقف مختلفة، حتى هيأ الله قيام دولتهم مرة ثالثة على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ رحمهم الله تعالى ـ الذي أخذ على عاتقه نصرة الدعوة السلفية وإقامة دولة إسلامية دستورها كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فعادت للدعوة السلفية قوتها ومكانتها، وسار أبناؤه البررة من بعده على نهجه إلى هذا اليوم، نسأل الله تعالى لهم الثبات والتوفيق، وأن يجزيهم عن الدين وأهله خير الجزاء.

الفصل الثاني

أهم العوامل التي ساهمت في قيام الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبد العزيز

المبحث الأول: دور العلماء في نشر الدعوة السلفية:

ومن العوامل التي ساعدت على نشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، ما قام به العلماء في نجد من الأسباب المشروعة في توصيل أخبار الدعوة ومبادئها إلى كثير من المناطق والبلدان الإسلامية، إما عن طريق المؤلفات والرسائل، أو عن طريق انتقالهم بأنفسهم من بلاد إلى أخرى بهدف نشر الدعوة. وما اتخذوه من الأسباب الشرعية المساهمة في إقامة الدولة الإسلامية، التي تأخذ على عاتقها إقامة حكم الله. وأهم هذه الأسباب البيعة لمن يرونه أهلاً للإمامة، وإقامة الحدود، وإنصاف الضعيف من القويّ، وغير ذلك من أمور الدين.

وكان بعض هؤلاء العلماء مرسلين ـ دعاة إلى الله ـ من قِبَل حكومة الدعوة في نجد سواء لداخل الجزيرة العربية أو لخارجها، بل كان إرسال هؤلاء الدعاة إلى مناطق من شبه الجزيرة العربية سبباً في خضوع بعض تلك البلدان والمناطق لحكومة الدعوة السلفية في نجد، من الناحيتين الدينية والسياسية[٢٢] .

وإليك بعض الأمثلة :

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ في رسالة له إلى إخوانه العلماء: "تفهمون أن الجماعة فرض على الإسلام، وعلى مَن دان بالإسلام، كما قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا}[٢٣]. ولا تحصل الجماعة إلا بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين.."[٢٤].

ومن رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن يقول فيها: "وقد عرفتم أن أمر المسلمين لا يصلح إلا بإمامٍ، وأنه لا إسلام إلا بذلك، ولا تتم المقاصد الدينية ولا تحصل الأركان الإسلامية، وتظهر الأحكام القرآنية، إلا مع الجماعة والإمامة، والفرقة عذاب وذهاب في الدين والدنيا، وقد أجمع المسلمون على جهاد عدوهم مع الإمام"[٢٥].

ومن رسالة للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف لإخوانه العلماء: "فتجرّد الحَبْر الجليل للدعوة إلى الله ـ أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ وآزره على ذلك من سبقت له من الله سابقة السعادة من أسلاف آل مقرن الماضين وآبائهم المتقدمين ـ رحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عن الإسلام خيراً ـ فما زالوا على ذلك على آثار حميدة ونعم عديدة، يصنع لهم تعالى من عظيم صنعه، وخفي لطفه ما هداهم الله به إلى دينه الذي ارتضاه لنفسه، واختص به من شاء كرامته وسعادته من خلقه، وأظهر لهم من الدولة والصولة، ما ظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة والإمامة، لا تزاحمهم فيها العرب، ولا يتطاول إليها بنو ماء السماء، وصالحهم يرجو فوق ذلك مظهراً، وجاهلهم يرتع في ثياب مجد لا يعرف من حاكها"[٢٦].

وتقدم معنا في المبحث الأول من الفصل الأول أن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله ـ بعثا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف وعلمائها، ليكون مفوّضاً عنهما في شرح المعتقد وبيان حقيقة الدعوة، بناءً على طلب شريف مكة، وذلك في سنة 1185هـ[٢٧].

---

٢١ انظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، للدكتور صالح بن عبد الله العبود، ص 560، 566، 568، 569، 575.

٢٢ الدولة السعودية الأولى، عبد الرحيم عبد الرحمن ص 63، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، د محمد السلمان ص78.

٢٣ آل عمران: 103.

٢٤ الدرر السنية 242/7.

٢٥ الدرر السنية 245/7.

٢٦ الدرر السنية 268/7.

٢٧ عنوان المجد لابن بشر 58/1ـ59.

وفي سنة 1211هـ أرسل الإمام عبد العزيز جماعة من أهل الدين والعلم المشهود لهم بحسن المناظرة... برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، إلى الشريف غالب بناءً على طلبه أيضاً[٢٨] .

ولما دخلت بلاد الحجاز في ولاية الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حصل اتفاق بين علماء مكة ونجد.. وقد اشتمل على بيان ما يجب على الأمة الإسلامية اعتقاده من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وتحذيرها من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كدعاء غير الله، والاستغاثة والاستعانة بالأموات، وطلب الشفاعة منهم، والذبح والنذر لغير الله، وكالحلف بغير الله، وتعظيم القبور بغير ما شرع الله من البناء عليها واتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، والطواف حولها، والتبرك بها، مما عمّت به البلوى. وقد سبق نشرها في جريدة أم القرى في أجزاء متفرقة في سنة 1343هـ، ثم جمعت في رسالة تحت عنوان:

البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد

وطبعت عام 1344هـ، ثم ضُمّ إليها مناظرة في نفس الموضوع جرت بين علماء مكة ونجد نشرتها جريدة أم القرى يوم الجمعة 1343/5/15هـ، وطبعت بمطابع دار الثقافة بمكة المكرمة عام 1398هـ، طبعتها الثانية، وأولها: نداء عام من علماء بلد الله الحرام إلى أمتنا الكريمة وإلى شعبنا النبيل[٢٩] .

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين لهم دور بارز في نشر الدعوة السلفية والإسهام في إقامة الدولة الإسلامية: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن حسن، وغيرهم كثير ممن كانت لهم جهود كبيرة في التدريس، والإفتاء، وبعث الرسائل والنصائح، والتأليف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخطابة، وغيرها ـ رحم الله الجميع رحمة واسعة.

هذا بالإضافة إلى أن طبيعة مبادئ الدعوة واضحة المعالم، تناسب الفطرة السليمة، سهلة الفهم، بعيدة عن التعقيدات والأمور الفلسفية، ولا غرو في ذلك فهي الدعوة إلى الإسلام النقي الخالص من شوائب البدع والشركيات[٣٠].

المبحث الثاني: السمعة الطيبة للدولة السعودية في عهودها السابقة:

إن ما اتصفت به الدولة السعودية منذ نشأتها من تاريخ متميز عن غيرها من الشيم الأصيلة، والقيم النبيلة، ونصرها للدعوة السلفية الإصلاحية ـ التي قام بإحيائها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ـ مكّن لها في قلوب الناس المحبة الصادقة، وأكسبها السُّمعة الطيبة.

وهذه السمعة الطيبة، لم تأت من فراغ، ولكن شواهدها التاريخية كثيرة جدا على مدار تاريخها.

وذلك أنه منذ أن اقتنع الإمام محمد بن سعود بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ورحب به ووعده بالنصر والجهاد لمن خالف التوحيد..

قام الإمامان ـ رحمهما الله ـ وأنصارهما بكل ما أُوتوا من قوة العلم والإيمان، بنشر هذه الدعوة المباركة، ورفعوا راية الجهاد، وسعوا إلى شرح أهداف الدعوة وغاياتها حتى تمكنت من شق حُجُب الضلال وتمزيق الباطل، واضحة المفهوم والهدف.

وقامت دولة التوحيد والإيمان بالحفاظ على هذه الدعوة وحمايتها، وأقامت شرع الله في البلاد، ونفّذت الحدود والتعزيرات، وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، واهتمت بالشعائر الإسلامية عامة، والصلاة خاصة.

وقد عضَّت دولة آل سعود في كل عهودها على هذه الدعوة بالنواجذ لاقتناع أئمتها بصحتها وصوابها وفضلها.

وكان من آثار ذلك أن تبوأت هذه الدولة في جميع عهودها مكانة طيبة ومحبة صادقة لدى العلماء الموحدين، ونفوس المسلمين المخلصين في كل مكان.

وإذا تتبعنا مواقف آل سعود وأفعالهم وأقوالهم على مدار تاريخهم، تأكد لنا أنهم لم يكونوا حُكاماً فحسب، بل كانوا رجال عقيدة، ورجال دعوة أيضاً.

فالإمام محمد بن سعود يقول لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

"يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لاشك فيه، وأبْشِر بالنصرة لك، ولِما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد..."[٣١] .

ويقول ابن بشر عن الإمام تركي بن عبد الله مؤسس الدولة السعودية الثانية: "كان شجاعاً مقداماً مجاهداً في سبيل الله... ومن لطيف سيرته أنه يكون للضعيف في الغاية من اللطف والإكرام ولين الكلام، وإطعام الطعام... وكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، كثير النصائح

---

٢٨ تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لابن غنام ص197ـ198.

٢٩ انظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور صالح بن عبد الله العبود ص590ـ591.

٣٠ انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور محمد بن عبد الله السلمان ص76.

٣١ تاريخ نجد لابن غنام ص87، عنوان المجد لابن بشر 12/1.

لرعيته... إنه من الداعين إلى الله، المجاهدين في سبيل الله"[٣٢] .

ويسير ابنه فيصل بن تركي على نهج أبيه، حتى أنه لو جمعت نصائحهم ومراسلاتهم في الدعوة إلى الله تعالى، وتعاهدهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لبلغت مجلداً[٣٣] .

ويأتي الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ مؤسس الدولة السعودية الثالثة، مستمراً في هذا الاتجاه، ومؤكداً سيره على خطى أسلافه في نصرة العقيدة ونشرها، وتحكيم شرع الله بين عباده.

ومن أقواله :

"كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، إني والله، وبالله، وتالله، أُقدِّم دمي ودم أولادي وكُل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضنُّ بها"[٣٤] .

"أنا داعية أدعو إلى عقيدة السلف الصالح..."[٣٥] .

"نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعة. نحن دعاة إلى العروة الوثقى"[٣٦] .

ويواصل أبناء الملك عبد العزيز المسيرة على نفس المنهج. ولو تتبعنا أقوالهم وأعمالهم في نصرة الإسلام والمسلمين، لبلغت مجلدات كثيرة.

وهكذا نرى أن آل سعود قاموا بنصرة الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العقيدة الصحيحة، واشتهرت عدالتهم بين الناس، مما جعلهم أهلاً لتولي أمور المسلمين، وجعل الناس يبايعونهم على السمع والطاعة، وعلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دون أن يجدوا في نفوسهم حرجاً من ذلك.

المبحث الثالث: تطلُّع المجتمع إلى قيام دولة تُصحح العقيدة، وتطبق الشريعة وتقيم الأمن والعدل:

عاشت الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حالة سيئة في جميع الحالات الدينية، والعلمية، والسياسية، والأمنية، والاجتماعية والاقتصادية، والصحية[٣٧] .

فمن الناحية الدينية: فإن الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز قد أصابها ما أصاب الجميع من وهن العقيدة، وتفشي الجهل، والبدع، والضلالات، وإن كان بعض أهل الجزيرة قد وفقهم الله تعالى لتصحيح العقيدة، واتباع مذهب السلف الصالح، وترك البدع والشركيات، وذلك للأثر الذي تركته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نفوسهم.

والحقيقة أن منطقة الحجاز كانت أسوأ حالاً من الناحية الدينية ـ حيث جلب الحُكام السابقون عن طريق اتصالهم بالسلاطين العثمانيين ـ عادات وتقاليد أعجمية لا تقرها الشريعة الإسلامية[٣٨] .

أما عن الحالة العلمية: فإنه على الرغم من بعض الحلقات والدروس العلمية في الحرمين الشريفين، وفي بعض المساجد الأخرى، وعلى الرغم من تميز وسط الجزيرة بصفاء العقيدة واستقامة المنهج، واعتماد العالم والمتعلم على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى الرغم من وجود بقية من العلماء الذين تعلَّموا على أيدي أئمة الدعوة وتلامذتهم الذين قامت عليهم دعائم الدولة السعودية في سابق عهدها. فإنه على الرَّغم من ذلك كله، فإن هؤلاء العلماء كانوا من القلة بحيث أن بعض القرى ـ فضلاً عن البادية ـ لا يوجد بها من يقرأ أو يكتب، لانشغال الناس بكسب قوتهم، علاوة على عدم الأمن وكثرة قُطاع الطرق، وكان ذلك مانعاً للبعض من الرحلة في طلب العلم إلى المدن التي يتوافر فيها العلماء مثل مكة، والمدينة، والرياض، ونحوها.

وأما من الناحية السياسية: فإن الجزيرة العربية في المدة التي سبقت تولّي الملك عبد العزيز زمام الأمور، في فوضى سياسية، يعمها الانقسام والتناحر والحروب، حيث أصبحت نجد كلها تبعاً لآل الرشيد، وفي الحجاز كان الشريف تابعاً للأتراك، وكانت السلطة غير منظمة في عهد الأتراك، فالوالي العثماني له حكمه، وللشريف حكمه، ولشيخ الحرم حكمه، ولرئيس العسكر حكمه، وذلك في مكة والمدينة.

وكانت في الأحساء حامية تابعة للأتراك أيضاً..

أما جنوب الجزيرة (عسير وجيزان) فكان يتبع الدولة العثمانية تارة، وتارة أخرى كان يستقل به أهلها، كإمارة آل عائض والإدريسي.

وهكذا كانت الجزيرة العربية قبيل عهد الملك في انقسام وتمزق، وكانت هدفاً لمؤامرات الدول الغربية والاستعمارية، التي كانت تستهدف استعمار ما بقي من العالم الإسلامي عامة،

---

٣٢ عنوان المجد لابن بشر 56/2ـ57.
٣٣ انظر: المرجع السابق 60/2.
٣٤ الملك الراشد ص362.
٣٥ المرجع السابق ص371.
٣٦ المصحف والسيف لمحي الدين القابسي، ص62، ط2، دار الناصر، الرياض.
٣٧ انظر الكتاب القيم "الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ" للدكتور محمد بن ناصر الشثري 35/1ـ50، وص 120 وما بعدها.
٣٨ انظر: تاريخ مكة لأحمد السباعي 216/1، ط6، سنة 1404هـ، وكتاب من شيم الملك عبد العزيز، لفهد المارك 297/3ـ298.

والعالم العربي خاصة[٣٩] .

وأما عن الأمن: في الجزيرة العربية قبيل الملك عبد العزيز، فإنه كان مفقوداً، والناس يغلب عليهم التمزُّق والتفرُّق والانقسام، فيما بين بعضهم البعض، وفيما بينهم وبين المتجاوين في البلدان.

وكان حبل الأمن مضطرباً. فالقبائل في غارات مستمرة تقاتل بعضها بعضاً، لا يستقر لها حال، ولا يهدأ لها بال، والدماء تُسفك وتُراق لأتفه الأسباب، والانتقام والأخذ بالثأر هو شغلها الشاغل، فلا أمن ولا أمان، بل فوضى وعدوان[٤٠] .

وكان الخوف شديداً، وقد عمَّت الفوضى والسلب والنهب والقتل وإزهاق الأرواح، فالحروب تقع بين القبائل ـ في البادية وبين القرى ـ لأتفه الأسباب، أو بسبب الطمع والنهب، وكان البدو يتحاكمون إلى العرف، والحضر يحارب بعضهم بعضاً. إذ ليس هناك سلطة قوية تسيطر على الأمور وتردع الظالم وتنصر المظلوم .

وكانت الانقسامات الإقليمية والغزوات القبلية، والحروب الأهلية من الأمور الشائعة. وقد جلب النـزاع والتقاتل بين الأفراد والقبائل للأهالي المحن والويلات.

وكانت الطرق محفوفة بالمخاطر من قطاع الطرق، فلا يذهب مسافر من جهة إلى أخرى إلا بعد الجهد والمشقة.

وكان من أشهر الأسباب التي ساهمت في زعزعة الأمن والاستقرار التنازع من أجل المراعي وموارد المياه والأخذ بالثأر.

وكانت رحلة الحج في سلسلة من المشقات، بل كانت نوعاً من المغامرة والمجازفة بعد أن انتشرت جرائم اللصوص، وعصابات قُطاع الطريق على الحاج بيت الله الحرام، وكان الناس يحذّرون المسافرين من أخطار الطريق، وكان من يريد الحج يودع أهله وداع مفارق لا عودة له بسبب سوء حالة الأمن واضطرابه، وكانوا يقولون: "الذَّاهب للحج مفقود، والعائد منه مولود"[٤١] .

حتى إنّه ليروى أن أحد قطاع الطرق قتل حاجا، وحين فتشه لم يجد معه سوى ريال واحد، فقالوا له: أتقتله من أجل ريال؟ فقال بلا خجل: الريال أحسن منه.

هكذا كانت الحال إذن، حياة الحاج لا تساوي ريالاً واحداً[٤٢] .

أما في غير مواسم الحج فقد كانت جرائم القتل بصفة خاصة منتشرة في العهد الماضي بسبب عادة الأخذ بالثأر، ولم يكن الموتور يتورع عن الأخذ بثأره والانتقام من غريمه في رابعة النهار، وعلى مسمع ومشهد من الناس، وهو لا يكتفي بذلك بل يتفاخر ويتباهى بالانتقام من خصمه. يروي العقيد الميمان: أن عمدة قباء بالمدينة المنورة ـ وهو عدل ثقة ـ أبلغه بأنه في العهد الماضي كانت مسألة الثأر شائعة في البوادي المقيمة بالمدينة والقرى المجاورة لها، وأنه في يوم من الأيام بينما كان شخص يتناول الشاي في أحد المقاهي في وسط المدينة في رابعة النهار أطلق عليه شخص آخر عياراً نارياً من بندقيته كان يحملها فقضى عليه. وعندما حاول الناس القبض عليه صاح فيهم قائلاً (سداد . سداد) يعني أخذه بثأره، فتركوه مراعاة للعرف والتقاليد السائدة، ولم تمض سوى أيام قلائل حتى أُخذ بثأر المجني عليه من القاتل نفسه في رابعة النهار وفي وسط المدينة[٤٣] .

وأما الحالة الاجتماعية والاقتصادية: فإن الحياة القبلية ونظامها كانت هي الأساس في ذلك الوقت، وكان منطق القوة والعنف والإغارة، وقطع الطريق يمثل السبيل الوحيد ـ في الغالب ـ للحصول على المال والثراء.

وبوجهٍ عام كانت المعيشة في تلك الفترة قاسية جداً، وكان القوت الرئيس هو التمر والبُرّ، وأحياناً اللبن.

وأحياناً تحلُّ بالناس مجاعات تبلغ من القوة درجة أن بعضهم يأكل العشب وأوراق الشجر، وجلود الحيوانات، الأمر الذي حمل البعض إلى الهجرة خارج البلاد من أجل الحصول على القوت.

وأما الحالة الصحية: فقد انتشرت الأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بالأسر والجماعات، ولا علاج في تلك الفترة سوى النار وبعض الأخلاص من الأعشاب على أيدي بعض الأشخاص المتطببين.

وكانت بعض الأمراض المعدية ـ كالكوليرا ـ تدخل البيت فلا تبقي فيه شخصاً واحداً على قيد الحياة إلى حد أنهم قد لايجدون لبعضهم نعشاً يُحمل عليه[٤٤] .

وإنه نتيجة إلى هذه الإشارة عن الظروف التي كانت تعيشها الجزيرة العربية قبل الملك عبد العزيز من انتشار الجهل، ووهن في العقيدة، وتفشي البدع والمنكرات.

---

٣٩ انظر: السعوديون والحل الإسلامي، لجلال كشك ص25ـ26.

٤٠ انظر: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، لرابح لطفي جمعة ص49.

٤١ انظر: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، لرابح لطفي جمعة ص42.

٤٢ انظر: الأمن الذي نعيشه، لحسين عبد الحي قزاز 25/1.

٤٣ انظر حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، لرابح لطفي جمعة ص 49، نقلاً عن بحث في القصاص في الإسلام وأثره في استتباب الأمن واستقراره في المملكة العربية السعوية، للعقيد جميل الميمان ص26.

٤٤ من شيم الملك عبد العزيز، لفهد المارك 252/3ـ257.

وما كانت فيه من فوضى سياسية يعمها الانقسام والتناحر والحروب، وما كانت فيه من فرقة مستحكمة بين الأفراد والجماعات.

وما كان يعانيه الناس من فقدان للأمن في طول البلاد وعرضها، وما كانوا فيه من خوف وذعر، وسلب ونهب، وقطع للطريق، وسفك للدماء، وأخذ بالثأر، دون وجود الوالي القادر العادل الذي يردع الظالم وينصر المظلوم. بالإضافة إلى ما يعانيه الناس من قلة التعليم، ومن قسوة المعيشة، وانتشار الأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بالناس وليس لها من العلاج سوى الكي بالنار وبعض الأعشاب.

لذا فإنّ العلماء والمصلحين ومجتمع الجزيرة العربية كان في تطلع وترقب ولهف وشوف لقيام دولة قوية تصحح العقيدة، وتنشر الدين الصحيح، وتقضي على البدع والمنكرات، وتطبق الشريعة السمحة، وتقيم الأمن والعدل في ربوع البلاد [٤٥]. وتجمع الشمل، وتوحد الصفوف، وتؤلف بين القلوب، وتعيد المهابة والعزة للأمة الإسلامية.

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى للملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ الأسباب لإيقاظ هذه البلاد من غفوتها، ولتقوم نهضة إسلامية جديدة قوية، فقام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ رحمهم الله ـ متّبعاً سنة آبائه في نصرة عقيدة السلف الصالح، وإعزاز أهل الدين والحق، واستعادة مكاسب آبائه من ذلك، وتجديد مجدهم، وإحياء سنتهم الراشدة.

وقد تميز طموح الملك عبد العزيز الشخصي في دفع القوة الوطنية إلى شدة الإصرار على إعادة بناء الدولة السعودية في حدود الأُطُر الدينية والسياسية والاجتماعية التي سارت عليها الدولة السعودية في دورها الأول.

فكان هذا الإصرار ـ مضافاً إليه مجموعة مقومات بناء الدولة ـ بمثابة قوة الدفع اللازمة لتكوين البناء السياسي الجديد[٤٦] .

ومما يؤيد هذا شهادة الشيخ محمد مغيربي ـ وهو أحد المعاصرين للمجتمع في تلك الفترة ـ فقد صوّر ذلك بقوله:

"أما العامل الأقوى في نجاح هذه الدعوة بتلك المدة القصيرة، فسببه يرجع على الأكثر، إلى ما كانت عليه القبائل من الفوضى بتفشي الجهل، وتأثير المطامع، فأدى ذلك إلى تجاوز كل منهم على حقوق الآخرين، وانعدام الأمن على الأرواح، والأموال، وبما أن حالة كهذه غير طبيعية في الأقوام والشعوب، أصبح كل فرد فيهم يتطلب الطمأنينة، ويلتمس سبيل السلام، فجاءت هذه الدعوة مطابقة لعقليتهم واستعدادهم الفكري، ورغبتهم المفقودة"[٤٧] .

الفصل الثالث

شخصية الملك عبد العزيز وتوحيد المملكة

المبحث الأول: شخصية الملك عبد العزيز وأثرها في توحيد المملكة:

اتصف الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ بصفات الرجل المسلم، المؤمن بربه، الواثق به، وكان قوي الإيمان، صلب العقيدة، ملازماً لطاعة الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، جاعلاً نصب عينيه مراقبة الله وإخلاص العبادة له.

ومن أقواله ـ رحمه الله ـ التي تدل على ثقته بالله جل وعلا، وشدة توكله عليه قوله: "إذا أراد المسلمون والعرب قتال عدوهم فإن أعدوا له آلة واحدة من آلات الحرب، أعدّ أعداؤهم مئات وألوفاً، ولكن قوة واحدة إذا أعدها المسلمون لا يمكن أعداؤهم أن يأتوا بمثلها، هي إيمانهم بالله وثقتهم به، هذه القوة لا قِبَل لأحدٍ بها"[٤٨] .

ويقول ابنه الملك فيصل ـ رحمه الله ـ عن قوة إيمان والده: "أول المزايا التي يتصف بها والدي قوة الإيمان، فما رأيته منذ نشأت قد ضعف إيمانه بالله، أو تخلى عن ثقته بنصر الله"[٤٩] .

وكان ـ رحمه الله ـ عادلاً يحكم بالشريعة الإسلامية، وينصر المظلوم، ويعاقب الظالم، وكان لا يتهاون في إنفاذ الحق على أي شخص حتى ولو كان من أقرب الناس إليه.

يقول ـ رحمه الله ـ : " إن من واجب الراعي أن يكون ناصحاً لرعيته، فيمنع عنهم الظلم، ويحذرهم من نتائج الظلم والعدوان، ومن واجب الرعية أن تكون ناصحة لولي أمرها..." [٥٠] .

وفي هذا يقول ابنه الملك فيصل ـ رحمه الله ـ : "إن والدي لا يفرّق بيننا وبين أبناء شعبه، وليس للعدالة ميزانان: يزن بأحدهما لأبنائه، ويزن بآخر لأبناء الشعب، فالكل سواء عنده، والكل أبناؤه"[٥١] .

---

٤٥ انظر هذا التطلع في تاريخ المملكة العربية السعودية، للدكتور عبد الله العثيمين 25/2، 28، 48، 59، 62، 137، 176، 183.

٤٦ مصادر تاريخ البلاد السعودية، لعبد الفتاح أبو عليه ص2، ط1، دار المريخ، سنة 1399هـ.

٤٧ وهابية اليوم لمحمد مغيربي المدني ص21، ط تركيا، سنة 1342هـ.

٤٨ الملك الراشد، لعبد المنعم الغلامي ص319، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 796/2.

٤٩ من حياة الملك عبد العزيز للأحيدب ص37.

٥٠ الملك الراشد ص347.

٥١ من حياة الملك عبد العزيز للأحيدب ص39، شبه الجزيرة للزركلي 23/2.

وكان الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حكيماً في معالجة الأمور، يقود شعبه بقلبه، وإذا استحكمت الأمور استعمل الفكر والرأى قبل السيف، هذا هو منهج الملك عبد العزيز.. يؤكده أنه في اليوم الذي أرسى فيه أول لبنة في بناء المملكة.. يوم فتح الرياض في شوال سنة 1319هـ، لم يُرسل رجاله المحاربين، ولم يسلّ سيفه على أعدائه، ولكنه مضى على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم القائل لأهل مكة حينما فتحها: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[٥٢] .

وكان ـ رحمه الله ـ بطلاً مغواراً، وشجاعاً لايُبارى، لا يخشى في الحق لومة لائم، وكان يتقدم الجموع أثناء القتال، ليُلقِي الرعب في نفوس أعدائه، ويرفع الحماس بين رجاله. وكان رأيه سابقاً لشجاعته، وبُعد نظره وسعة أفقه، وقوة حكمته. وكان ينشد بيتي المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العليا كل مكان[٥٣]

وكان ـ رحمه الله ـ كثير التواضع، ليّن الجانب، يظهر أمام رعيته بأنه واحد منهم، له مالهم، وعليه ما عليهم، ولم يكن يتفاخر بملبسه أو مسكنه[٥٤].

وكان عفوّاً عند المقدرة، وقد لازمته هذه الصفة حتى توفاه الله، فقد عفا عن أناس ناصبوه العداء مدة طويلة، وأضمروا الشر لمملكته في كثير من المواقف، وكانت مواقفهم تتطلب إنزال أشد العقوبات بحقهم، ولكن الملك عبد العزيز يسدل ستار الصلح، فيعفو عنهم، والأمثلة على ذلك كثيرة[٥٥] .

ومن الصفات الحميدة التي كان يتحلى بها: صفة الوفاء، فقد كان محبا لأصدقائه القدماء، وفيّاً معهم، وكان يتفقد أحوالهم، ويكافئهم بالمنح والعطايا[٥٦].

وقد وهب الله الملك عبد العزيز ذاكرة قوية فذّة، فقد كان ذكيّاً فطناً في كل ما يقرأه أو يسمعه أو يقوله أو يفعله. وكان حاضر البديهة، حسن الاستشهاد.

وكان ـ رحمه الله ـ مطلعا على أمور دولته، وأحوال رعيته، ويعدُّ توجيهاته بشأن كل قضية أو مسألة، فهو المتخذ للقرارات، والموجه بتنفيذها.

وكان ـ رحمه الله ـ كثير الاهتمام في استقصاء الحوادث، وتتُّبع الأخبار العالمية بصورة عامة، والبلاد العربية والإسلامية بصورة خاصة. فكان يقرأ معظم الصحف العربية يومياً، ويتابع الإذاعات الكبرى في أوقاتها[٥٧] .

فهذه الصفات العظيمة، والسجايا الكريمة، والروح المؤمنة الصادقة، التي يندر وجودها مجتمعة في غير شخصية الملك عبد العزيز من عظماء التاريخ المعاصر، كان لها الأثر العظيم في مودة الناس له، والترحيب به، والالتفاف تحت رايته. فمكن الله له، وتمّ له توحيد المملكة العربية السعودية، وأتاح الله لأهل الجزيرة عهداً سعيداً، عامراً بالعدل، والرخاء، ورغد العيش، عزيزاً بالأمن والإيمان.

وعن تديُّن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وأثره في محبة الناس له، يقول الدكتور عبد الله العثيمين في بحث نشره في مجلة الدارة عن الملك عبد العزيز: "إنّ من مؤهلات الملك عبد العزيز التديُّن وهذا التدين ذو مظهرين:

أحدهما: سلوكه الشخصي إذ كان محافظاً على أداء الواجبات والسنن الدينية.

وثانيهما: مناداته بالإسلام عقيدة صافية وعملاً ملتزماً.

ولاشك أن التدين عامل قوة للفرد يكسبه صفات جليلة، في طليعتها الثقة بالله والتوكل عليه، وكان لتدين الملك عبد العزيز بمظهريه، أثره البعيد في استقطاب أكثرية سكان المنطقة التي بدأ فيها تأسيس حكمه، ذلك أنّ سكان نجد كانوا يُكنُّون مودة للدين، وكان حبُّ الدعوة الخيرة التي تبنتها الدولتان السعوديتان الأولى والثانية لا يزال متغلغلاً في أفئدتهم.."[٥٨] .

المبحث الثاني: سير الملك عبد العزيز على منهج السلف الصالح:

وجاء أبو الملوك الميامين، الملك الراشد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية وموحد كيانها، وباني مجدها ونهضتها، مؤكداً سيره على خطى السلف الصالح في نصرة الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والتمسك بأحكام الشريعة الإسلامية والحرص على تحكيمها في جميع المجالات.

قال رحمه الله: "عقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا... هذه هي العقيدة

---

٥٢ انظر: الأموال للأبي عبيد القاسم بن سلام ص 143، وسيرة ابن هشام 412/3، وزاد المعاد لابن القيم 184/2.

٥٣ شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوني 307/4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، 1986م.

٥٤ انظر: من حياة الملك عبد العزيز للأحيدب ص41.

٥٥ الملك الراشد ص336.

٥٦ المرجع السابق ص339ـ340.

٥٧ الملك الراشد ص329، في آفاق التربية الوطنية ص37.

٥٨ مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الحادية عشرة، 1406هـ.

التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة، منـزهة من كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها. وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن ومصائب"[٥٩] .

ومن أقواله ـ رحمه الله ـ في هذا الصدد: "... على أنه في آخر الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، ثم بعدهما محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ ونفع بهم الإسلام والمسلمين، وخصوصاً محمد بن عبد الوهاب، عندما اندرست أعلام الإسلام، وكثرت الشبهات والبدع، فلما رأى أسلافنا موافقة أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبلوا ذلك وقاموا بما أظهره الله على أيديهم، ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو أن يحيينا على ذلك ويميتنا عليه".. إلى أن قال: "ومن أشكل عليه شيء من الأمور فليردّه إلى طالب العلم المنصوب عندكم بأمر الولاية ورضى المشايخ" [٦٠] .

ومن أقواله ـ رحمه الله ـ : "أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما جاء عن الخلفاء الراشدين. أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين"[٦١] .

"أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك"[٦٢].

"أنا بذمَّتكم وأنتم بذمتي. إن الدين النصيحة. أنا منكم وأنتم مني. هذه عقيدتنا في الكتب بين أيديكم، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فردونا عنه، واسألوا عما يشكل عليكم فيها، والحكم بيننا كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة"[٦٣] .

وقال رحمه الله أمام المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه، وعقد أولى جلساته يوم الاثنين 26 ذي الحجة 1344هـ:

"أيها الإخوان: إني لا أريد علواً في الأرض ولا فساداً، ولكن أريد الرجوع بالمسلمين إلى عهدهم الأول، عهد السعادة والقوة، عهد الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، لا شيء يجمع القلوب ويوحدها سوى جعل أهوائها تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم".

وأضاف يقول: "إننا لا نُكْرِه أحداً على اعتناق مذهب معين، أو السير في طريق معين في الدين... ولكن لا أقبل بحالٍ من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات التي لا يعتبرها الشرع وتأباها الفطرة السليمة، لا يسأل أحد عن مذهبه أو عقيدته، ولكن لا يصح أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين أو يثير فتنة عمياء.."[٦٤] .

ولما أراد السفر لفتح مكة قال رحمه الله: "إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع الظلم عنها، والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله، إنّي مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها، فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان إلاّ للشرع".

وأضاف قائلاً: "الذي أبغيه من هذه الديار أن نعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم"[٦٥] .

يقول محمد جلال كشك: "المصادر التي وصفت رحلة الملك الأولى من الرياض إلى مكة، وتناقلتها صحافة العالم الإسلامي، جدَّدت أحلام العودة لمجد وفضائل القرون الأولى للحضارة الإسلامية، فقد كانت رحلة شبيهة برحلات سلاطين الجهاد، أو جيش المرابطين: الجند في تسبيح وتهليل وتسابق على التضحية والفداء، وإيثار المسلم لأخيه المسلم، والقيادات تقسم وقتها ما بين تلاوة القرآن، وتفسير الحديث، أو قراءة التاريخ العربي، وشعر العرب، والأعداء في سُكْرٍ ورقص وتدخين، وابن شريفهم يدهش لرؤية الإخوان يُصلُّون خلال المعركة"[٦٦] .

ومن تصريحاته لوفد العلماء الهنود: "أعترف أمام الله وأمام كل المسلمين بأنـي لا أريد إلا العودة إلى دين الإسلام الصحيح القويم، البعيد عن العقائد الوثنية التي ليست من الإسلام في شيء، وأنّ عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء، عاداتنا هي عاداتهم، شعائرنا هي شعائرهم، وإننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن والسنة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكل ما نطمع فيه أن يتحد العلماء المسلمون فيتحد العالم الإسلامي، نريد أن يكون اتحادنا قوياً متيناً، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعاً تاماً لأحكام القرآن والسنة"[٦٧] .

---

٥٩ جريدة أم القرى، ذو الحجة 1347هـ، وانظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص217.

٦٠ نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز... لأمين الريحاني ص435ـ436 ط3.

٦١ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص216.

٦٢ المرجع السابق ص216.

٦٣ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص217.

٦٤ الملك الراشد لعبد المنعم الغلامي ، ص47ـ49 .

٦٥ الرحلة الملكية، كتبها الشيخ يوسف ياسين، جمع وتنقيح عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ص20، وانظر: تاريخ المملكة العربية السعودية لسيد محمد إبراهيم ص207.

٦٦ السعوديون والحل الإسلامي ص32.

٦٧ الملك الراشد ص 50.

وفي يوم 1 ربيع الأول سنة 1346هـ جمع كبار الموظفين في الدولة وخطب فيهم خطاباً رائعاً، ومما جاء فيه:

"تعلمون أن أفضل الأعمال كلمة حق تقال، وأن أفضل الأعمال معرفة الحق واستعماله، والمجالس يجب أن تكون للنصيحة والإرشاد. نحن نريد أن نسير إلى الأمام، ولكن بأقدام ثابتة، وعلى ضوء النهار، إنّ رأينا واعتقادنا وآمالنا في السير إلى الأمام، يجب أن يكون وفق ما كان عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه السلف الصالح، فما كان موافقاً للدين في أمور الدنيا سرنا عليه، وما كان مخالفاً للدين نبذناه.."[68] .

ومن خطبة له في مكة أيضا: "يُسمونا بالوهابيين، ويُسمُّون مذهبنا بالوهابي، باعتبار أنه مذهب خاص. وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض .

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح.

نحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا"[69] .

ومن أقواله المأثورة: "نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعة، نحن دعاة إلى العروة الوثقى"[70] .

فهذه أقواله ـ رحمه الله ـ واضحة صريحة في تمسكه بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، ودعوته إلى ذلك، لا تحتاج إلى تعليق، وسيأتي المزيد في بحث تقريره للعقيدة السلفية ونشرها في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث: توحيد الملك عبد العزيز للمملكة:

بدأ توحيد المملكة العربية السعودية بفتح الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ للرياض في 5 شوال سنة 1319هـ، وبعد أن استتب الأمن فيها انطلق منها لتوحيد بقية أجزاء المملكة تحت راية التوحيد، وتوالت الفتوحات والإصلاحات الاجتماعية، حتى أصبحت جميع أقاليم البلاد دولة موحدة باسم المملكة العربية السعودية في 21 من جمادى الأولى عام 1351هـ[71]. وأصبح لقب موحدها وباني مجدها (ملك المملكة العربية السعودية).

وقد بذل الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ الكثير والكثير من الجهد والجهاد في سبيل الوصول إلى توحيد المملكة، إذ خاض ـ رحمه الله ـ أكثر من أربعين معركة [72] . واستمرت أكثر من ثلاثين عاماً. وذلك من أجل إعلاء كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ومن أجل إقامة هذا الصرح الشامخ والكيان الكبير.

وبذلك الجهد العظيم استطاع ـ رحمه الله ـ أن يؤسس في قلب الجزيرة العربية وعلى أطرافها أعظم دولة إسلامية في العصر الحديث، قامت على أساس العقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومنهج السلف الصالح، تُناصرُ الحق والعدل، وتقيم الأمن والاستقرار، وتُسخر كل إمكانياتها في خدمة الإسلام والمسلمين.

وكان ـ رحمه الله ـ يُحب الخير والسلام لبلاده، وشعبه، وكل المسلمين. ومن أقواله:

"ليس لدينا أحب من السلام يغمر هذه الربوع، فنحن لسنا طالبين حرب، ولا نشهر سلاحنا إلاّ في وجه من يبادرنا بالسلاح، لقد آن لهذه البلاد الحبيبة أن تعرف السكينة، وتنعم بالسلام، فلنوحد صفوفنا وسلاحنا وكلمتنا"[73] .

ويرى ـ رحمه الله ـ أنّ أساس الوحدة والائتلاف إنما يكون في توحيد الله تعالى، والقيام بما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أقواله في هذا:

"إن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر الله به ورسوله"[74] .

لقد سخر الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كل عمره وجهده العظيم في خدمة دينه وأمته، وعمل على كل ما يهم الأمة ويؤثر في حاضرها ومستقبلها، وركز على العقيدة، والأمن والوحدة، والحكم بما أنزل الله، ونشر العلم، وتوطين البادية، والإصلاح الاجتماعي، وأجرى مصالح الناس والأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين.

وكان ـ رحمه الله ـ شخصية قيادية، وتاريخية فذة، وصاحب تجارب متنوعة القدرات، وكان صاحب خلق ثابت في التعامل مع الآخرين. وكان يواجه الناس مواجهة صريحة واضحة، فكان مثلاً حيّاً في الصدق والوفاء، والإخلاص في القول والعمل، والتحلي بمكارم الأخلاق، وعلى هذا الأساس جمع حوله أبناء البلاد، فوحَّد الأمـة، وآخى بين أفرادها وجماعاتها، مدنها وقراها،

---

٦٨ الملك الراشد ص359.

٦٩ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص217.

٧٠ المصحف والسيف لمحي الدين القابسي، ص62، ط.2، دار الناصر، الرياض.

٧١ انظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص158.

٧٢ في آفاق التربية الوطنية، للدكتور سليمان الحقيل، ص28.

٧٣ عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية، د0 عبد العزيز شرف، ص38.

٧٤ الملك والمملكة والمنهج، د0 عبد الله بن عبد المحسن التركي ص74 .

حاضرها وباديتها، وجميع أقاليمها وجهاتها.

وجاهد في سبيل تعزيز هذه الوحدة، وتوطيد دعائمها، وتقوية أواصرها، وحسّن العلاقة الاجتماعية بين أفرادها، وغرس روح المحبة والمودة بينهم، وأسهم في علاج المشكلات بحكمة بالغة.

وليس في مقدور الباحث أن يحيط بأبعاد شخصية الملك عبد العزيز وأعماله وعبقريته وسداد رأيه. حيث كان ـ رحمه الله ـ يزن الأمور بموازين دقيقة، وبفضل من الله تعالى وعونه وتوفيقه استطاع أن يؤسس بنياناً شامخاً، ويقيم صرحاً كبيراً أساسه تقوى الله، واتباع الكتاب والسنة، ويضع نهضة حضارية ما زال أبناء هذا البلد يسعدون بنعيمها ويعيشون في ظلالها تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين.

لقد مكّن الله تعالى للملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ في الأرض، ووطّد له فيها، لمَّا قام بدين الله، وتحكيم شرعه، ونشر عقيدة السلف الصالح، وبث الوعي الديني، والقضاء على البدع والمنكرات.

قال تعالى: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}**[٧٥].

وقال عز وجل: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً..}**[٧٦].

يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: "هذا وعد من الله تعالى لرسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم"[٧٧] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ : "هذا من وعوده الصادقة التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفنهم في الأرض، فيكونوا هم الخلفاء فيها المتصرفين في تدبيرها، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها، وارتضاه لهذه الأمة لفضلها وشرفها، ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم..." إلى أن قال: "ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلابد أن يوجد ما وعدهم الله"[٧٨] .

ويمكن إيجاز بعض الأعمال والجهود الهامة التي قام بها الملك عبد العزيز وكان لها الأثر الكبير في تأسيس قواعد المملكة، وإيجاد وحدة مترابطة ومتماسكة بين أفراد هذا الوطن الغالي في الفصل التالي

---

٧٥ الحج : 41 .

٧٦ النور : 55 .

٧٧ تفسير ابن كثير 314/3 .

٧٨ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان 412/3ـ413 .

تابع لأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية

الفَصْلُ الرَّابع

أثرُ الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة في توحيد المملكة

المبحث الأول: اتِّخاذ الملك عبد العزيز الكتاب والسُّنَّة دستوراً لبلاده:

اتَّخذ الملك عبد العزيز - رحمه الله - كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم دستوراً لبلاده، ومنهجاً لرعيته، وذلك لاعتقاده أنَّه لن يُصْلِح هذه الأُمَّة إلاَّ ما صلح به أولها، وأنَّه لن يكون للمسلمين عِز ولا نصر ولا تمكين في الدنيا، ولا فوز ولا نجاة في الآخرة، إلاَّ بامتثال أوامر الله تعالى وطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، واجتناب ما نهى الله عنه ورسولُه صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: **{إنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** ١.

وقال سبحانه: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً}** ٢.

وقد كانت تعليماته الأساسية التي أصدرها ونُشِرَت في جريدة أُمِّ القرى يوم 21 صفر 1345 هـ: "جميع أحكام المملكة تكون منطبقة على كتاب الله وسُنَّة رسوله، وما كان عليه الصحابة والسَّلَف الصَّالِح"٣.

ولخَّص الملك عبد العزيز - رحمه الله - منهجه لبناء المجتمع السعودي في عبارةٍ واحدةٍ، ضمَّنها كُلّ ما زخرت به حياته من أعمالٍ وإصلاحاتٍ فقال: "دستوري، وقانوني، ونظامي، وشعاري دين مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، فإمَّا حياة سعيدة على ذلك، وإمَّا موتة سعيدة "٤.

وكان - رحمه الله - كُلَّما سُئِلَ عن دستورِ بلاده أجاب: "دستورنا القرآن"، وهو يعني تقيُّده هو ومملكته بأحكام الشرع الإسلامي المستمدَّة من معاني القرآن، وما لم يكن فيه فمن حديث رسوله وعمله، وما لم يكن فيهما، فمن قضاء أصحابه وسيرتهم، وما لم يكن فمن منهج أهل العدل... "٥.

وقال - رحمه الله – لوفد العلماء الهنود: " أعترف أمام الله وأمام كُلِّ المسلمين بأني لا أريد إلاَّ العودة إلى دين الإسلام الصحيح القويم، البعيد عن العقائد الوثنية التي ليست من الإسلام في شيء، وأنَّ عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء، عاداتنا هي عاداتهم، شعائرنا هي شعائرهم، وإنَّنا نعود في كُلِّ شيء لأحكام القرآن والسُنَّة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكُلّ ما نطمع فيه أن يتَّحِدَ العلماء المسلمون، فيتحد العالم الإسلامي، نريد أن يكون اتحادنا قوياً متيناً، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعاً تامّاً لأحكام القرآن والسُنَّة"٦.

وكان - رحمه الله - يدعو الله - جلَّ وعلا - بأنْ ينصره ويؤيده، مستشعراً قوله تعالى: **{إنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}**٧.

ومن دعائه: " اللَّهُمَّ إنَّك تعلم إن كان ما أُقسم اليمين عليه هو عقيدتي التي أعتقد أن تؤيدني وتنصرني.. وإن كنت تعلم أنَّ ما أُقسم عليه مخالفاً لما أعتقد أن تكفي المسلمين

---

١ النور: 51

٢ الأحزاب: 36

٣ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 354/1

٤ الملك الرَّاشِد ص 382

٥ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 353/1

٦ الملك الرَّاشد ص 50

٧ جزء من الآية 7 من سورة مُحَمَّد.

سوئي.. اللهم إنَّك تعلم أني أحبُّ مَنْ تحبّ وأبغضُ مَنْ تبغض"١.
وعن الأخذ بالمدنيّة والحضارة الحديثة يقول الملك عبد العزيز - رحمه الله -: "أمَّا التمدُّن الذي فيه حفظ ديننا وأعراضنا وشرفنا، فمرحباً به وأهلاً. وأمَّا التمدُّن الذي يؤذينا في ديننا وأعراضنا فو الله لن نرضخ له ولن نعمل به، ولو قُطِّعت مِنَّا الرِّقاب ".
وقال: " إني أرى كثيراً من الناسِ ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا مِنَّا إلاَّ لا تباعنا كتاب الله وسُنَّة رسوله، ومنهم مَن عاب علينا التمسُّك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال العصرية، فأمَّا الدين فو الله لا أغير شيئاً مِمَّا أنْزَلَ الله على لسان رسوله الكريم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، ولا أتبع إلاَّ ما جاء به، وليغضب علينا مَنْ شاء، وأمَّا الأمور العصرية التي تعيننا وتفيدنا، ويبيحها دين الإسلام، فنحن نأخذها ونعمل بها، ونسعى في تعميمها، ولا مدنية أحسن وأفضل من مدنية الإسلام"٢.
وبهذا نجد أنَّ الملك عبد العزيز اتَّخذ كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم - دستوراً يعمل به ويطبق أحكام شريعته السمحة في جميع أنحاء المملكة، وعلى الجميع من كبير وصغير، وبدو وحضر، باعتبار أن الشريعة الإسلامية تدعو إلى مكارم الأخلاق، وتدعو إلى التعايش الاجتماعي في أمنٍ وسلام، ومحبَّةٍ ووئام. وقد تقبَّل المجتمع هذا النظام بكُلِّ محبة وارتياح.
يقول سيد مُحَمَّد إبراهيم: " لقد كان من أهم أسباب نجاح الملك عبد العزيز - رحمه الله - هو تمسكه بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم..وما كادت الأمور تستقر في بلاده حتى اتخذ من كتاب الله دستوراً يعمل بموجبه، ويطبق أحكام الشريعة الإسلامية السمحة، ووقف إلى جواره أبناء الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب يوضِّحون للناس أمور دينهم، ويحكمون بما أمر الله به"٣.
وهكذا نرى أنَّ الملك عبد العزيز - رحمه الله - قد اتخذ القرآن الكريم والسنة النبوية منهجاً ودستوراً لبلاده، وأقام دولته على العقيدة الصحيحة، وعلى قواعد الإسلام التي تدعو إلى كُلِّ خيرٍ ونعمة وفضل، ولذا جلب الله له الخيرات الكثيرة، والنعم العظيمة، كما هي سُنَّته في خلقه بأنَّ كُلَّ من استظلَّ في ظِلِّه، واهتدى بهديه، وتمسَّك بشرعه بصدقٍ وإخلاص، أنعمَ الله عليه بالنعم الدنيوية، غير ما ادَّخر له من النعم الأخروية.
المبحث الثاني: تقريب الملك عبد العزيز للعلماء ومشاركتهم:
إنَّ للعلم والعلماء في الإسلام مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فإنَّ اللهَ تعالى استشهد العلماء على ما شهد به على وحدانيته، فقال جلَّ وعلا: **{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ}**٤.
وقد أشاد الله بذكر الذين أوتوا العلم، ورفع درجاتهم في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}**٥.
والعلماء أعرف الناس بالله تعالى، وأشدهم منه خشية، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف. قال تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}**١. والعلماء ورثة الأنبياء، كما في

---

١ الملك الراشد ص 366 ، تاريخ المملكة العربية السُّعُودِيَّة ، لصلاح الدين المختار 516-515/2

٢ السعوديون والحل الإسلامي 30-31 ، وعاهل الجزيرة ، لعبد الرحمن نصر ص 220

٣ تاريخ المملكة العربية السُّعُودِيَّة ، ص 204

٤ آل عمران: 18

٥ المجادلة: 11

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنَّ العلماء ورثة الأنبياء وإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما وَرَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر" ٢.
إلى غير ذلك مِمَّا جاء في فضلهم والثناء عليهم.

والعلماء هم مصابيح الهدى، وحماة الحق، وأنصار دين الله تعالى.

وفي عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - قيَّض الله للدعوة السَّلَفِيَّة علماء ربانيين، ودعاة صالحين، يقومون بالدَّعْوَة إلى الله تعالى وفق هدي كتاب الله عزَّ وجلَّ، وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومنهج السَّلَف الصَّالِح، من تقرير العقيدة الصحيحة، وإرشاد الناس إلى ما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم، وكانوا يستخدمون الأسلوب الأمثل في الدَّعْوَة إلى الله، ممتثلين قوله سبحانه: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**٣. ولم يكونوا رحمهم الله - يكتفون بالتعليم، أو الوعظ والإرشاد، أو القضاء والإفتاء، بل كانوا يؤلفون الكتب القيمة والرسائل المفيدة، وخاصّةً في بيان العقيدة الصحيحة وشرحها، والرد على أهل البدع والأهواء، ونقض أقوالهم الباطلة، وتفنيد افتراءاتهم على الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة وأهلها.

وقد اهتم الملك عبد العزيز - رحمه الله - بأولئك العلماء الأجِلاَّء، فقرَّبهم إليه، وأكرمهم ٤، لا سيما آل الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب - رحمهم الله - وذلك عرفاناً منه بفضلهم، وتقديراً لعلمهم، وعظيم جهودهم في الدَّعْوَة.

وكان - رحمه الله - يستقبل العلماء، ويجتمع بهم في كُلِّ يوم خميس من كل أسبوع، في جلسة عامَّة مفتوحة في قصره، وكانت له توجيهات إسلامية، وفي موسم الحج كان يلتقي بكبار العلماء والزعماء في العَالَم الإسلامي، ويناقش معهم القضايا الإسلامية، ومسائل العقيدة.

وكان - رحمه الله - عوناً للعلماء - بعد عون الله تعالى، فهو - رحمه الله - لم يألُ جهداً في تسخير كُلِّ إمكانيات دولته في سبيل تعليم الناس أمور دينهم، ونشر العقيدة السَّلَفِيَّة بينهم.

ولا شكَّ أنَّ الملك عبد العزيز - رحمه الله - كان كأسلافه، عقيدته سلفية، وكان نصيراً لعقيدة السَّلَف، ويستشير العلماء في أمور الدين، وينفِّذ أحكامهم، ويعمل بنصائحهم وفتاويهم، مع أنَّه ذو فكرٍ سديدٍ، وإدراكٍ عميقٍ، واعتقادٍ سليمٍ، مبني على استقلال في الشخصية، وحُرِّيَّةٍ في الاختيار، وقوة في الإرادة، وإمضاء في العزيمة، وسعة في الأفق، ويشاركهم في التوجيه والنصائح والإرشاد، والدَّعْوَة إلى عقيدة السَّلَف الصَّالِح.. ٥. مِمَّا يدل على علمه ورسوخ قدمه في عقيدة السَّلَف الصَّالِح، وأنَّ عليها اعتقاده - رحمه الله تعالى - لكنَّه مع ذلك يدرك أهمية العَالِم المُتَخَصِّص، المعروف بالدِّيانة والصِّدق ويضعه في مكانه، ويعلم أنَّ ذلك هو المنهج الصواب٦.

ولا ريب أنَّ لتقريب الملك عبد العزيز - رحمه الله - للعلماء الرَّبَّانيين المعروفين بالصدق والإخلاص، وحسن الديانة والمعتقد، كان له الأثر البالغ في بَثِّ الوعي الدِّيني بين الناس، وتعريفهم بالمعتقد الصحيح، كما كان له الأثر الكبير في تطبيق الشريعة والفصل في القضايا

---

١ فاطر: 28

٢ سنن أبي داود 58/4 ، كتاب العلم ، رقم 3641 ، الترمذي 49/5 كتاب العلم ، رقم 2682 ، ابن ماجه 81/1 المقدّمة رقم 123

٣ النحل: 125

٤ انظر: شبه الجزيرة ، لخير الدين الزركلي 741/2

٥ انظر: الدرر السنية 156/11 ، 160 ، 171 ، 174

٦ انظر: عقيدة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب السَّلَفِيَّة وأثرها في العالم الإسلامي ، للدكتور صالح بن عبد الله العبود ، ص 596

المهمة وكشف الشُّبَه، مِمَّا نتج عنه تجنُّب المخاطر ودروب الهلاك والفُرْقة والانقسام.
وقد سار أبناءُ الملك عبد العزيز البررة مِنْ بعده، على هذه السُّنَّة المباركة في إكرام العلماء وطلبة العلم. فرحم الله مَنْ مضى إلى ربِّه، وحفظ الله خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده، والنَّائب الثاني.

المبحث الثالث: تقرير الملك عبد العزيز للدعوة السَّلَفِيَّة ونشرها:

إنَّ دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب السَّلَفِيَّة التي نادت بتصحيح العقيدة، وتصفيتها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، لم تزل تنمو وتتسع بعد وفاة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب، والإمام مُحَمَّد بن سعود - رحمهما الله - حتى بلغت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري مبلغاً عظيماً على يد الأمير سعود المعروف بالكبير، فقد رفرفت أعلام التوحيد على ربوع منطقة نجد كلها حتى بلغت أطراف سوريا والعراق وعُمان، ووجدت تقبُّلاً كبيراً في كثير من بلاد المسلمين.

إلاَّ أنَّه بسبب نشر الدعاية السيئة ضِدّ هذه الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة في البلاد الإسلامية عادت مظاهر الشرك والخرافات والبدع تظهر من جديد، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والبناء عليها، والتبرُّك بها والنذر لها والاستعاذة بالجِنّ والذبح لهم.. والحَلف بغير الله إلى غير ذلك من أنواع الشِّرْك الأصغر والأكبر[١].

ولَمَّا مكَّن الله للملك عبد العزيز من تقلّد مهام الأمور في البلاد، كان أوَّل اهتماماته تقرير العقيدة السَّلَفِيَّة ونشرها بين الناس، والذَّب عن حياضها، واعتبرها القاعدة الرئيسة في حياة المسلمين، وذلك لأنَّ تصحيح العقيدة هو الأساس، فشهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ مُحَمَّداً رسول الله هي أوَّل أركان الإسلام، والرسل أوَّل ما دعوا الأمم دعوهم إلى التوحيد، وتصحيح عقائدهم، فالتوحيد هو أساس دعوة الأنبياء من أوَّلهم إلى آخرهم، قال تعالى **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}**[٢].

وقال تعالى عن الأنبياء عليهم السلام: **{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [٣].

فجميع الأعمال من العبادات والتصرُّفات تنبني على العقيدة، وبدون التوحيد، لا فائدة من الأعمال مهما كان نوعها.

ومن هذا يتبيَّن ما لتصحيح العقيدة من أهمية بالغة، وهي أولى أوليات الدَّعْوَة، فأوَّل ما تقوم الدَّعْوَة على تصحيح العقيدة، ومن هذا بدأ الملك عبد العزيز - رحمه الله - دعوته وجهاده.

فقد كان - رحمه الله - مُحِبّاً للتوحيد مخلصاً لله فيه. وكان يبني عليه كُلّ قراراته وتصرُّفاته، على نفسه وعلى رعيَّته.

وما من شكٍّ أنَّ العقيدة السَّلَفِيَّة الصَّحيحة التي تدعو إلى عبادة الله وحده، وترك البدع والخرافات، فإنَّها تدعو أيضاً إلى المحبَّة والتآلف بين القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الصَّف، وعدم التنازع والتفرُّق، وهذا ما يدعو إليه الكتاب والسُّنَّة في كثير من الآيات البينات والأحاديث الصحيحة.

والصِّفة الأكثر أهمية - وزناً وعمقاً - في شخصية الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنَّه رجل عقيدة قبل كُلِّ شيء ومؤدى ذلك أنَّ جميع الخصائص والصفات الأخرى تستمد من العقيدة قوتها وأثرها.

ومن الأدلة الواضحة والجلية على محبته للتوحيد وتمسُّكه به وإخلاصه له وإعلانه أنْ اختار الشهادتين شعاراً لرايته وعَلَماً لمملكته.

---

١ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبدالعزيز، للدكتور مُحَمَّد ناصر الشثري 269/1 بتصرف.

٢ النحل: 36

٣ الأنعام: 88

ومن أقواله - رحمه الله - في هذا قوله لخالد بن لؤي: " كلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله مُحَمَّد رسول الله، اللَّهم صَلِّ وسلِّم وبارك عليه، إني والله، وبالله، وتالله، أُقَدِّم دمي ودم أولادي وكُلَّ آل سعود فداءً لهذه الكلمة لا أضنُّ به"١.

ومن أقواله: " أنا داعية أدعو إلى عقيدة السَّلَف الصَّالِح،

وهي التمسُّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن الخلفاء الراشدين..."٢.

ويقول - رحمه الله - " إنِّي أفضِّل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض أعبد الله وحده، على أن أكون ملكاً على سائر الدنيا وهي على حالتها من الكفر والضلال، اللَّهُمَّ إنَّك تعلم أني أُحِبُّ مَنْ تُحِبّ وأبغض مَنْ تبغض. إننا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنَّما يهمنا القيام بحق واجب كلمة التوحيد "٣.

وأوصى - رحمه الله - ولي عهده، فقال: "تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً: نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون ديدنك إعلاء كلمة التوحيد.

ثانياً: عليك أن تجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سِرّاً وعلانية، والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً.

ثالثاً: عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامَّة..."٤.

إنَّ كُلَّ فكر الملك عبد العزيز وطموحه هو تحقيق العقيدة الصحيحة، ورفع راية التوحيد عالية خفَّاقة على أرض الجزيرة العربية، وتطبيق الشريعة الإسلامية على هدي الكتاب والسُنَّة النبوية، واتباع طريق السَّلَف الصَّالِح، ونشر العدل بين الناس، وإقامة الحدود.

فالملك عبد العزيز – رحمه الله - لم يكن مجرَّد طالب للملك والجاه في الدنيا، بل كان صاحب عقيدة ودين، يجد في ذلك سعادته في الدنيا، ونسأل الله تعالى أن يرزقه سعادة الآخرة.. يقول في وصيته لولي عهده أيضاً: "واعلم أنَّنا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الأمر بحولنا وقوتنا، وإنَّما مَنَّ به الله علينا بسبب كلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله مُحَمَّد رسول الله"٥.

وكان - رحمه الله - لا يولِّي أميراً على بلد أو جيش أو يُعَيِّن قاضياً إلاَّ ويوصيه بتقوى الله، والتزام الإسلام، والدَّعْوَة إليه، وكثيراً ما كان يردِّد: "اللهمَّ إنْ كان قصدي إعلاء كلمة الله، ونصرة الإسلام والمسلمين، فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر، وإن كان قصدي خلاف ذلك فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل"٦.

ولا ريب أنَّ الله تبارك وتعالى أعزَّ الإسلام والمسلمين بظهور الملك عبد العزيز - رحمه الله - الذي أسَّسَ دولته على قواعد التوحيد، ووقف أمام تيارات الشرك والخرافات البدعية، ولم يجامل أو يداهن أحداً في سبيل عقيدته بل عقد العزم على تطهير الجزيرة من كُلِّ ما يفسد على الناس عقيدتهم، وهذا العمل لم يقدم عليه إلاَّ مَنْ ملأ التوحيدُ قلبَه، وأنار الله بصيرته للعمل به، والدَّعْوَة

---

١ الملك الرَّاشد ص 362

٢ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص 216 ، الملك الراشد ص 371

٣ انظر: منهج الملك عبد العزيز في السياسة الدولية وأثره في العلاقات السُّعُودِيَّة المصرية ، للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ص 38

٤ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز للزركلي ص 159

٥ انظر الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم للقصيمي ، ص 23 ، ط 2 ، 1989م.

٦ من تاريخ الملك عبد العزيز ومواقفه النادرة ، لسعد الرويشد ، ص 9

إليه.

المبحث الرَّابع: القضاء على أسباب الشرك ومحاربة الأفكار الهدَّامة:

إنَّ من فضل الله تعالى وتوفيقه على أهل هذه البلاد خاصَّة، وأهل الأرض عامَّة أن جعل هذه البلاد موطنا لدعوة التوحيد، ومنطلقاً لهذه الدَّعْوَة حيث جعل فيها بيته الحرام، فيه آياتٌ بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً. قال تعالى **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً}** ١.

حيث دعا إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد، وأمر بتطهير البيت العتيق للطائفين والقائمين والركَّع السجود، وعلى أرض هذه الجزيرة العربية دعا هود وصالح، ودعا خاتم الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - إلى كلمة التوحيد. ودعا الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وامتداداً لجهود الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب، والإمام مُحَمَّد بن سعود، قام الملك عبد العزيز - رحمه الله - بالدَّعْوَة إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، وسعى إلى القضاء على جميع الأسباب المفضية إلى الشِّرْك والبدع والخرافات المنتشرة في ذلك الوقت، مثل البناء على القبور، وتعظيمها، والتبرك بها، إلى غير ذلك مِمَّا يؤدِّي إلى الشرك بالله تعالى.

ومن ذلك أنَّ الملك عبد العزيز - رحمه الله - حينما دخل جده سنة 1344هـ، كان من أوائل الأعمال التي قام بها هدم قبَّة حواء - المزعومة - وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزَّمان، والتي كان يتقرَّب بها النَّاس - كما يظنون - إلى الله تعالى.

ومن ذلك هدم صنم ذي الخَلَصَة في منطقة تَبَالة وهي بلد باليمن٢.

إنَّ مظاهر الشرك مع شدة تحريم الإسلام لها، ووعيد أصحابها بالخلود في نار جهنَّم يوم القيامة إن لم يتوبوا إلى الله تعالى قبل الموت، كما قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}** ٣.

فإنَّها أيضاً تدل على التخلُّف العقلي، وسذاجة عابديها في الدنيا. والإسلام يريد من العبد أن يتوجَّه إلى الله وحده، ليكون قويّاً عزيزاً.

يقول الملك عبد العزيز - رحمه الله -: " إنَّ سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص، والخروج من أسر البدع والضلالات، والاعتصام بما جاء في كتاب الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم" ٤.

لقد وفَّق الله موحِّد المملكة الملك عبد العزيز - طَيَّب الله ثراه - أنْ وحَّد الناس على عبادة ربهم، حتى أنَّه وحَّدهم في تأدية صلاتهم، بعد أن كانوا يتَّخذون جماعات متعدِّدة في المسجد الحرام.

قال المعصومي: "لَمَّا تشرّفت بمكَّة سنة 1353هـ انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرَّفة - زادها الله تشريفاً وتعظيماً - وَلَمَّا شهدت توحيد الجماعة في الصلوات الخمس، زادني سروراً على سرور؛ لاضمحلال بدعة تعدُّد الجماعات في هذا المسجد الشريف، وكذا هدم قباب القبور

---

١ آل عمران: 96 - 97

٢ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. مُحَمَّد بن ناصر الشثري 277/1 نقلاً عن تعليقات الشيخ مُحَمَّد بن بليهد على كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ص 285 ، ط. السعادة بمصر ، سنة 1953م بتصرُّف.

٣ النساء: 48

٤ جريدة أم القرى ، العدد 333 في ذي الحجة سنة 1394 هـ.

التي كانت من أضَرّ الأشياء على عقيدة المسلمين"١.

محاربة الأفكار الهدَّامة:

وعلى الرَّغم من الأدلة الواضحة على صفاء الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة ونقائها، فإنَّها لم تسلم من مكر أصحاب الأفكار والمذاهب الهدَّامة.

وقد ابتلي العالم الإسلامي في العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري بكثيرٍ من التيارات الوافدة، كالقومية، والعلمانية، والاشتراكية، وغيرها من المذاهب المعادية للإسلام.

وهذه المبادئ تعادي الإسلام بما تشتمل عليه من نظم لا تتَّفِق مع مبادئه السامية.

وقد زرع أعداءُ الإسلام لهذه الأفكار والمذاهب الهدَّامة دعاةً بين المسلمين هم من الكُفَّار ثُمَّ من تلامذتهم من المسلمين. فجنَّد أصحاب هذه الأفكار أقلامهم لترويج تلك الأفكار، وأغرقوا الشعوب بسيلٍ من الشعارات التي لا محتوى لها، ولا مضمون وراءها، كالتغيير الثوري، ومجتمع الكفاية، والتقدُّمية، وغير ذلك من الشعارات التي أجادها هؤلاء الذين سَمُّوا أنفسهم تقدُّميين، ولم تجن الشعوب العربية من وراء ذلك شيئاً.

وفي المقابل يصفون دعاة الإسلام بالرجعية، ويزعمون أنَّ الإسلام هو سبب تأخُّر المسلمين، والمطالبة بإقصاء علماء الدين باعتبارهم عوائق في طريق التقدُّم والتطور.

وكان هناك مَنْ يطالب بإلغاء المحاكم الشرعية وسيادة القانون الوضعي، ومنع تعدُّد الزوجات، وأن تمنح الفتاة الحرية الكاملة، بحيث تفعل ما تريد، ولو كان في ذلك مخالفة للشرع.

والمملكة العربية السُّعُودِيَّة باعتبارها واحدة من البلاد العربية والإسلامية، تتأثَّر بما يوجد على الساحة العربية والإسلامية سلباً وإيجاباً، بل إنَّ هذه البلاد كانت مستهدفة بهذه الأفكار، لعلمهم بما تتمتَّع به من زعامة في العالم الإسلامي، حيث أنَّها بلاد الحرمين، ومهبط الوحي، وقلعة الإسلام.

لكن بفضل الله تعالى، ثُمَّ بجهود الملك عبد العزيز - رحمه الله – ومن حوله من علماء الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة، وقفت هذه الدَّعْوَة المباركة سداً منيعاً أمام تلك الأفكار والمذاهب الهدَّامة من الوصول إلى البلاد؛ وذلك لاقتناع الملك عبد العزيز - رحمه الله - بأنَّ تلك المذاهب أجنبية وغريبة على معتقد بلاده.

وفي الوقت نفسه اهتمَّ الملك عبد العزيز بمنع الكتب والنشرات المخلة بالأخلاق والعقائد من دخولها إلى البلاد، حتى أنَّه أمر بوضع نظام للجمارك لضبط هذه الكتب والنشرات٢.

وكان رحمه الله - يهدف من وراء هذه الإجراءات أن يحفظ للشباب عقيدته صافية نقية.

وقد نجح الملك عبد العزيز في ذلك، حيث ثبت فشل تلك المذاهب والأفكار في البلاد التي تبنتها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً. وسلمت بلاده من تلك الأمراض الفَتَّاكة، وقد سار أبناؤه البررة من بعده على هذا المنهج، ومعهم فقهاء وعلماء الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

المبحث الخامس: نشر العلم وطباعة الكتب القيِّمة:

إنَّ المتتبِّع لتاريخ الدَّولَة السُّعُودِيَّة منذ نشأتها، يلاحظ أنَّها دولة تعليمية لا يكاد ينفصل فيها جانب الجهاد في سبيل الله لنشر الدَّعْوَة الإسلامية عن جانب التعليم ونشر العلم.

إلاَّ أنَّ التعليم - في بداية الأمر - كان على نطاقٍ ضيِّقٍ، وكانت الأُمية هي الغالبة، بل كان

---

١ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. مُحَمَّد بن ناصر الشثري 275/1 عن مختصر ترجمة حال مُحَمَّد سلطان المعصومي ص 95

٢ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد بن ناصر الشثري 177/1 نقلاً عن جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة ، للشيخ عبد العزيز آل الشيخ ص

التعليم معدوماً في بعض مناطق البادية١.

ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى قسوة المعيشة، وقلة الأمن، وندرة المعلّمين المتفرِّغين، نظراً للظروف السائدة في ذلك الوقت.

لذا فقد أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنَّ الجهل بابٌ واسعٌ للفوضى في شتَّى مناهج الحياة. ورأى - رحمه الله - أنَّ المنهج الصحيح في بناء المجتمع المسلم هو محاربة هذا الدَّاء اللَّدود. وذلك بنشر العلم واعتماده وسيلة رئيسه للقضاء على الجهل والتخلُّف، وطريقاً إلى الاطلاع على منجزات العصر الحديث، والأخذ بأسباب التقدُّم والتطور، مِمَّا لا يتعارض مع العقيدة.

وكان اهتمام الملك عبد العزيز - رحمه الله - بنشر العلم والمعرفة، أحد الإنجازات العظيمة، حيث حقَّق اهتمامه بهذا الجانب الذي حظي بدعمه الماديِّ والمعنوي نجاحاً كبيراً.

ومن وصاياه لطلبة العلم قوله - رحمه الله - لخريجي معهد الطَّائف، الذين قدموا للسَّلام عليه في مكَّة يوم 7 صفر سنة 1350 هـ:

" أنتم أوَّل ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد، فاعرفوا قدر العِلْمِ واعملوا به، لأنَّ العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر"٢.

ويقول - رحمه الله - "قليلٌ من العِلْمِ يُبَارك فيه خير من كثيرٍ لا يبارك فيه، والبركة في العمل"٣.

وقد مرَّ التعليم في عهد الملك عبد العزيز بمرحلتين:

المرحلة الأولى: تبدأ بعد فتح الملك عبد العزيز - يرحمه الله - للرياض في 5 شوال سنة 1319هـ، ويتركَّز اهتمامه في هذه المرحلة بإرسال الوعاظ والمرشدين إلى البادية ليعلِّمُوهم أمور دينهم، ويغرسوا في نفوسهم روح العلم والإخاء، وطمأنينة الأمن والاستقرار.

وذلك عن طريق "الهجر"، وبناء المساجد فيها، وبناءً عليه يمكن اعتبار إنشاء الهجر أوَّل محاولة للتعليم قام بها الملك عبد العزيز في هذا المجال٤.

هذا بالإضافة إلى وجود بعض الكتاتيت التي كانت منتشرة في بعض المدن والقرى، حيث تقوم بتعليم الصغار القرآن الكريم، والقراءة والكتابة، وكان بعضهم يتخذ من زوايا المساجد أماكن للتدريس.

المرحلة الثانية: وتبدأ بعد ضم الملك عبد العزيز للحجاز، حيث أنشئت " مديرية المعارف العامَّة " في مكة سنة 1344هـ، ووضعت برنامجها الواسع لجميع المراحل التعليمية، وفتحت مدارس جديدة في سائر أنحاء البلاد.

ثُمَّ تحوَّلت هذه المديرية مع اتساع النشاط التعليمي إلى وزارة سنة 1373هـ، وأُنِيطَت - آنذاك - بصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز - حيث أخذ سموه في بذل قصارى الجهود في إشباع رغبات البلاد من مناهل العلم والمعرفة٥.

لقد سار التعليم في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - على الأُسُس الثابتة، والأهداف السامية، وأهمها اهتمامه بالعقيدة الصحيحة، ونبذ البدع والخرافات التي ليست من الدين في

---

١ انظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص 171 ، الشيخ مُحَمَّد بنعبد الوَهَّاب للدكتور عبد الله صالح العثيمين ، ص 16 ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز سنة 1403 هـ.

٢ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص 332

٣ الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد بن ناصر الشثري 233/1

٤ انظر: الملك الرَّاشد ص 296

٥ انظر: شبه الجزيرة للزركلي 648/1 ، معجزة فوق الرمال ، لأحمد عسه ص781

شيء، والاهتمام بالعلوم الشرعية، واللغة العربية، كأساسٍ لبناء الفرد المسلم.
وقد حققت هذه الجهود الموفَّقة للمواطن السعودي التزود بالعلم، وغرس روح الإخاء الإسلامي، وحفظته من الانزلاق في مهاوي الجريمة، أو ارتكاب العادات السَّيئة.
لقد أدرك الملك المؤسِّس - رحمه الله - أنَّ حكمه في إقامة مجتمع عربي مسلم متحضِّر، لن يتحقَّق إلاَّ بالتزود بالعلم، فعمل رحمه الله على نشره.
وقدَّم لطلاَّبه الكتب والأدوات المدرسية بدون مقابل، وكذلك خصَّص لهم المكافآت لتشجيعهم على حَلِّ مشكلاتهم في حال غربتهم عن مدنهم وقراهم.
وليس من المبالغة إذا قلنا إنَّ الملك عبد العزيز - يرحمه الله - قد وضع كُلّ الإمكانيات المتاحة، وبذلَ كُلَّ غالٍ ونفيسٍ في سبيل نشر العلم ومحو الأمية، والقضاء على الجهل والتخلُّف الذي كان سائداً في عموم البلاد.
وكان - رحمه الله - يرغب في أن يسير بالتعليم خطوات أكثر إلى الأمام، وبطريقةٍ أكثر تنظيماً، لولا انشغاله في تلك المرحلة بأمورٍ كثيرة، منها سعيه المتواصل لتوحيد أجزاء البلاد، وبناء صرح الوحدة السياسية للدولة، واهتمامه بنشر الأمن والعدل في كافَّة المناطق الخاضعة له، والعمل على تنمية الموارد الاقتصادية لهذا الكيان الكبير.
وإنَّ ما نشهده اليوم من نهضةٍ تعليمية شامخة،تستمد أُسسها ومقوماتها من مؤسِّس هذا الوطن القائد الباني الملك عبد العزيز – رحمه الله – الذي وضع أسسها ومقوماتها، ونفذها من بعده أبناؤه البررة بكُلِّ عزمٍ وقوة وحرصٍ واهتمام، حيث بلغ عدد الجامعات في المملكة ثماني جامعات١، وبلغ عدد الطُلاَّب والطالبات في مراحل التعليم أكثر من ثلاثة ملايين طالب وطالبة، وبلغ عدد المدارس والمعاهد والكليات الآلاف في جميع أنحاء المملكة، ووصل التعليم إلى ذروة تقدُّمه في وقتنا الحالي، تحت رعاية ودعم خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - الذي بذل أعظم الجهود وأفضلها من أجل أن تتمكَّن البلاد في أسرع وقتٍ ممكنٍ من مسايرة الركب العالمي في كافَّة المجالات العلمية، مع التزامها بالعقيدة الصحيحة.
طباعة الكتب وإخراج المؤلَّفات القَيِّمة:
ونظراً لأهمية الكتاب في التثقيف ونشر الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة، فقد اتجه الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى طبع الكتب وإخراج المؤلَّفات القيمة التي تهتم بالعقيدة السَّلَفِيَّة وتطهيرها من أدران الشرك والبدع، طبع في الفترة الأولى من حكمه عِدَّة كتب، من مؤلفات شيخ الإسلام ابن

١في يوم 1419/1/9هـ – وأثناء الزيارة التفقدية لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله ابن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني – لمنطقة عسير – أعلن معالي وزير التعليم العالي صدور الأمر السامي الكريم لخادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – بدمج فرعي جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، وجامعة الملك سعود، في جامعة واحدة جديدة تحت اسم جامعة الأمير عبد الله بن عبد العزيز. عقب ذلك أعلن صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز – إطلاق اسم الملك خالد بن عبد العزيز على هذه الجامعة قائلاً: " بسم الله الرحمن الرحيم. لخالد بن عبد العزيز آل سعود في نفوسنا مكانة مميزة، لذلك أُعلن تسمية هذه الجامعة باسمه بدلاً من اسمي". وبذلك تصبح جامعة الملك الخالد الجامعة الثامنة بالمملكة.
صحيفة الجزيرة، العدد 9352 بتاريخ 1419/1/10هـ ص1،8.

تيمية، وتلميذه ابن القيم، والإمام أحمد بن حنبل، والشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب، وغيرهم من علماء الإسلام.

وكانت هذه الكتب تشتمل على كتب في التفسير، والحديث، والدَّعْوَة، والفقه، والتاريخ، والأدب، وغير ذلك مِمَّا يجد - رحمه الله - في طباعته ونشره خدمة للدعوة السَّلَفِيَّة.

وقد وزعت هذه الكتب القيمة على الناس في داخل البلاد وخارجها مجّاناً١.

وكان الملك عبد العزيز يأخذ في طبع ونشر هذه الكتب بما يشير به عليه العلماء أو المستشارون، ومن المعروف أن جلساء الملك عبد العزيز هم من صفوة الرجال علماً وأدباً ورجاحة عقل. ومما لاشك فيه أنّ ما يلاحظ اليوم من استنارة ظاهرة في عقائد المسلمين، إنّما هو ناشئ عن هذه الدعوة المباركة التي مازالت تواصل دورها وتؤتي ثمارها في أنحاء الأرض.

المبحث السادس: تطبيق الشريعة وإقامة الحدود:

لقد أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - بثاقب بصره، وبُعْد نظره، أنَّ الناس عامة لا يمكن أن يصلح لهم أي نظام غير النظام الرباني، وقد كان لهذا الإدراك الأثر الكبير في نجاح جميع أموره في توحيد المملكة، وذلك لأنَّ كون الشريعة من عند الله يحمل الناس على احترامها، وطاعة أوامرها، وإنَّ في هذه الطاعة قربة إلى الله تعالى، ولا يخفى على أحدٍ أثر الشريعة الإسلامية في مجال العبادات والمعاملات من تحقيق المصالح بين الناس، وتنظيم العلاقة بينهم.

لذلك اعتمد الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الشريعة الإسلامية في جميع أعماله وتصرفاته من أجل توحيد المملكة، وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار فيها، وحقن الدماء التي كانت تُرَاق في الماضي، وإقامة نهضة شاملة، في حدود ما تجيزه الشريعة السمحة.

وذلك امتثالاً لقوله تعالى - مخاطباً رسوله مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم **{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}**٢.

وقوله عزَّ وجلَّ: **{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}**٣.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وسُنَّتي"٤.

وقد طبّق الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الشريعة الإسلامية في بلاده غير مبالٍ بحملات التشكيك التي كانت تثار ضِدّ قدرة الشريعة الإسلامية على مواكبة الحضارة الحديثة، والوفاء بمتطلَّبات الحياة العصرية، وتدعو إلى الأخذ بالقوانين الوضعية، والأنظمة الحديثة.

وإنَّ من نافلة القول أن نقول: إنَّ الملك عبد العزيز لم يأت بنظامٍ جديد، ولم يُشرّع قانوناً، بل الذي عمله أنّه طَبَّق أحكام القرآن والسُنَّة النبوية على الناس في مملكته، وأيقظ في النفوس وازع الإيمان بالله تعالى، والالتزام بما شرعه لعباده.

ولهذا قال - رحمه الله - عندما أراد السفر إلى مكَّة: " إنِّي مسافرٌ إلى مكَّة لا للتسلُّط عليها، بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل

---

١ انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 1029/2 - 1033، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز 338-340، من حياة الملك عبد العزيز ص 253-256، الملك الراشد ص386-390.

٢ الجاثية: 18

٣ النساء: 65

٤ رواه مالك في الموطأ 899/2 ، والحاكم في المستدرك 93/1 ، وأصله في صحيح مسلم 890/2 عن جابر رضي الله عنه.

عباد الله، إني مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها، فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان إلاَّ للشرع " ١.

ويذكر الأحيدب عن تمسُّك الملك عبد العزيز - رحمه الله - بالإسلام وشدَّة خوفه من الله، وتنفيذه للشريعة فيقول: " إنَّه لم يفرِّط في أي ركنٍ من أركان الإسلام طول حياته، وأنَّ مجالسه الصباحية والمسائية كانت عامرة بذكر الله من الدروس الدينية في الحديث والتفسير، والحكم الإسلامية، وأنَّه كان يرتجف خشيةً من الله حين يقول له أيُّ فرد من راعاياه (خف الله يا عبد العزيز) لأنَّه كان خاضعاً للشريعة السمحة، حريصاً على تنفيذ أحكامها، متمسِّكاً بها، مؤمناً بأنَّ خير المسلمين، بل خير البشر أجمعين، في اتِّباع تعاليم الإسلام وأخلاقه وهدايته"٢.

وقد أوصى الملك عبد العزيز - يرحمه الله - العلماء ورجال القضاء فقال: " إنَّ كتاب الله ديننا ومرجعنا، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دليلنا وفيه كُلّ ما نحتاجه من خيرٍ وإرشاد، ونحن من جانبنا سنحرص إن شاء الله كل الحرص على إقامته واتباعه وتحكيمه في كُلِّ أمر من الأمور"٣.

وكتب - رحمه الله - إلى العاملين في الهيئات بالمهام الموكلة إليها في مجال العبادات والمعاملات وأحكام الشريعة، ومِمَّا جاء في ذلك:

1 - إلزام الناس بالمحافظة على الصلوات الخمس في جماعة وحض الناس على تعلُّم الدين، والقيام على أهل المنكرات.

2 - جباية الزكاة وصرفها في مصارفها التي أمر الله بها والتحقُّق من أدائها على الوجه المشروع، وإنْ ظهر لهم منع أحد من إخراج الزكاة تؤخذ منه على الوجه الشرعي متحرِّين العدل.

3 - صيام شهر رمضان ومنع أي مظهر يتنافى مع طبيعة هذا الركن العظيم من أركان الإسلام.

4 - تفقُّد ما ظهر من معاملات الناس وكشف التعامل الربوي منها والعقود الفاسدة ؛ فما عثروا عليه يخالف الشرع أبطلوه وأدَّبوا صاحبه.

5 - تأديب من وجد منه غش أو خيانة أو بخس في المكاييل والموازين حسب الحال... إلى غير ذلك٤.

وقد ألغى - رحمه الله - جميع القوانين التي كانت سائدة في السابق، وأصدر العلماء فتوى بتاريخ 8شعبان سنة 1345هـ، ومِمَّا جاء فيها: "وأمَّا القوانين فإنْ كانَ موجوداً منها شيء فيُزَال فوراً ولا يحكم إلاَّ بالشرع المطهَّر"٥.

وعندما بدأ الملك عبد العزيز في تأسيس المملكة رأى إنَّ من أول واجباته إقامة حدود الله على كُلِّ مَن اعتدى على النفس أو الدين أو النسل أو العقل أو المال.

---

١ حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز ، لعبد المنعم الغلامي ص 83 ، الرحلة الملكية: كتبها الشيخ يوسف ياسين ، جمع وتنقيح عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص20

٢ من حياة الملك عبد العزيز ص 24-25

٣ حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز ، لعبد المنعم الغلامي ص 84

٤ الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز إلى العاملين بهيئات الأمر بالمعروف ، مخطوطة بدارة الملك عبد العزيز برقم 192.

٥ الدرر السنية 319/5

وبتطبيق الحدود تمكَّن الملك عبد العزيز من استئصال الجريمة في المجتمع، وعاش النَّاسُ في أمنٍ وعدلٍ منقطع النَّظير. بعد أنْ كانت الجزيرة العربية مسرحاً للفوضى والنَّهب والسَّلب وقطع الطريق، إذ أصبح كُلُّ مَنْ فيها آمناً على نفسه مطمئناً على أهله وماله، يشهد لذلك كُلُّ مقيم على أرضها.

ومن أجل سلامة تطبيق الشريعة الإسلامية، أنشأ الملك عبد العزيز - رحمه الله - رئاسة القضاء، وكان من مسؤولياتها تدقيق الأحكام الشرعية الواردة إليها... ويهدف هذا الإجراء إلى التأكُّد من أنَّ كُلَّ حكمٍ يتخذ فيما يتعلَّق بالحدود، يتمُّ وفق تعاليم الشريعة الإسلامية.

وأودُّ أن أُؤكِّد مرَّةً أخرى بأنَّ سِرَّ نجاح الملك عبد العزيز - رحمه الله - في إقامة هذه المملكة المباركة، وهذا الكيان الكبير، يعود في المقام الأول - بعد توفيق الله تعالى وفضله - إلى رغبة الملك عبد العزيز الصادقة والمخلصة في قيام دولة تلتزم العقيدة الصحيحة، وتنفِّذ الشريعة، وتقيم الجهاد، فكان له ما أراد، وسار أبناؤه البررة من بعده على نفس المنهاج.

المبحث السابع: الأخذ بمبدأ الشورى:

ومن الأُسس التي انتهجها الملك عبد العزيز - رحمه الله - وقامت عليها المملكة العربية السُّعُودِيَّة، الأخذ بمبدأ الشُّورى، والاسترشاد بآراء العلماء وأصحاب الخبرة.

ومن الأدلَّة على أهمية الشورى ووجوبها قوله تعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** ١.

وقوله عزَّ وجلَّ: **{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}**٢.

ومَنْ يتتبَّع كتب التراث الإسلامي يجد أنَّ كتب التفسير والحديث والتاريخ زاخرة بالأمثلة الدَّالَّة على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من مشورة أصحابه.

والشورى تكون في جميع الشئون العامة للأمَّة المسلمة، غير أنَّ الشورى لا تكون في أي قضية ورد فيها نص من القرآن الكريم أو السُّنَّة النبوية.

كما إنَّه لا يجوز أن ينتهي رأي المستشارين إلى نتيجة تخالف نَصّاً من النصوص التشريعية الواردة في القرآن الكريم، والسُّنَّة الشريفة.

أمَّا عدا هذين القيدين، فإنَّ كُلَّ أمر لم يرد فيه نص يمكن أن يكون محلاً للشورى إذا كان الأمر يتعلَّق بمسألة أو قضية تُعَدُّ من الشئون العامَّة للأمَّة.

وعملاً بتوجيهات القرآن الكريم الذي أمر بالمشاورة والحث عليها، فإنَّ الملك عبد العزيز - رحمه الله - لم يؤثر عنه أنَّه انفرد بأمرٍ من الأمور دون أن يستشير خاصَّته وأركان دولته، وذوي العلم والرأي فيها، رغم ما هو معروف عنه من بعد النظر وأصالة الرأي والتفكير ٣.

وقد جاء في كتاب شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز تحت عنوان: "التعليمات الأساسية". أمَّا التعريف بالدَّولَة وشكلها وترتيباتها الإدارية وما إلى ذلك، فأوَّل نظام وضع لها كانت مادَّته من إملاء عبد العزيز بمكَّة في 16 صفر 1345 هـ، ونشر في الجريدة الرسمية يوم 21 صفر، باسم التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية "... " ونصَّت الفقرة (2) على العبارة التالية: "الدَّولَة، دولة ملكية، شورية، إسلامية، مستقلة في داخليتها وخارجيتها٤.

وقد شكَّل الملك عبد العزيز - رحمه الله - مجلس الشورى عام 1346هـ، وأوضح مهمة

---

١ آل عمران: 159

٢ الشورى: 38

٣ انظر: الملك الرَّاشِد ص 196

٤ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للزركلي 1/353-354

عضو مجلس الشورى بكُلِّ دقَّة وأمانة، يقول – رحمه الله: " دعوناكم لانتخاب أعضاء لمجلس الشورى الجديد، فالواجب يقتضي أن لا يتقاضى الإنسان في مثل هذه الحالة إلى قلبه، لأنَّ القلب دائماً ميَّال، يجب أن تنتخبوا الأكفاء من أهل الخبرة بحيث إذا قام هذا المجلس على أساسٍ قويٍّ تجني البلاد من ورائه الفوائد الجزيلة، يجب أن تنتخبوا مَنْ تعتقدون فيهم الإخلاص في العمل، والمقدرة في الدفاع عن حقوق الأهلين، لأنَّ الحكومة تأخذ حقها على كُلِّ حال، أمَّا الأهلون فهؤلاء أعضاء مجلس الشورى هم الذين سيكونون وكلاء عن الشعب، فإنْ أحسنتم اختيارهم وانتقاءهم أحسن هؤلاء الدفاع عن حقوقهم، فأحسنتم بذلك للبلاد والعباد"١.

ونلاحظ أنَّ مجلس الشورى قد نشط في أعماله، وكثيراً ما كانت تضاف له صلاحيات جديدة، خلال كُلِّ دورة من دورات تشكيله التي كانت تستغرق عاماً أو عامين أو أكثر، وكان له أحياناً سلطة رقابية على الجهاز الحكومي وعلى تطبيق بعض النُّظُم، ومدى ملائمتها للشرع٢.

وظلَّ المجلس يؤدِّي دوره بنشاط خلال فترة كانت البلاد بحاجة ماسَّة إلى جهوده، للإشراف على وضع نظم وتعليمات تتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية، كي تلتزم بها الأجهزة والهيئات الحكومية التي بدأت في النمو والتزايد والاتساع حسب حاجة البلاد.

وقد اكتمل نظام مجلس الشورى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - حيث أصدر أمراً ملكياً بذلك في 1412/8/27 هـ.

وقد كان لنظام الشورى الذي اتخذه الملك عبد العزيز - رحمه الله - واقتفى أثره من بعده أبناؤه البررة، أكبر الأثر فيما تعيشه المملكة من تطور كبير في شتى المجالات، قائمٌ على التعاون بين ولاة الأمر والمواطنين، ومن خلال هذا المبدأ اكتسبت المملكة الصدق والوضوح والتثبت في كافة تعاملها مع الآخرين.

المبحث الثامن: توطين البادية والمؤاخاة بين القبائل:

كان المجتمع القَبَلِي في الجزيرة العربية - قبل عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - يغلب عليه التنافس والتنازع، فكُلُّ قبيلة لها زعامة مستقلة، وتتنافس مع القبيلة المجاورة لها في موارد المياه وأماكن الرعي. وبين هذه القبائل من العداوة والمعارك والأخذ بالثأر، مَا يجعل الحروب لا ينطفئ لهيبها وبدلاً من الوحدة والائتلاف، كان الشِّقَاق والنزاع بينها لا نهاية له، ولا حدود.

وكان من أهم خصائص البادية في ذلك الوقت ميلهم إلى الحُرِّية المطلقة، وعدم الخضوع لأي أنظمة سوى أعراف القبيلة وقوانينها.

يقول فهد المارك: " إنَّ مَنْ يعرف العهد الماضي الذي عاشه أولئك البدو، كيف كانت عليه حياتهم الاجتماعية التي موجز ما يُقَال عنها، أنَّها قامت على التعصُّب القَبَلِي الجاهلي الأعمى، وافتراس قويِّهم لضعيفهم، واستباحة ما يقع بأيديهم عن طريق ما يُعْرَف بالغزو..."٣.

ونظراً لكون البدو يُشَكِّلون نسبة كبيرة من سُكَّان شبه الجزيرة، وأنَّ لذلك خطره على مبادئ الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة ؛ حيث أنَّهم ورثوا تقاليد وعادات تتنافى مع العقيدة الصحيحة.

لذلك فقد أدرك الملك عبد العزيز الدَّاء، وعالجه بسياسة حكيمة، حين رأى - رحمه الله - أهمية تنظيم حياة البادية، ليوظِّف قدراتهم وطاقاتهم في بناء الدَّولَة الفتية، فشرع في توطينهم، وتشجيعهم على الاستقرار فيما يُسَمَّى "بالهجر" وبعث إليهم الدعاة والمعلِّمين لتعليمهم وإرشادهم. وذلك لأنَّ معيشة البداوة وما فيها من غزوٍ وسلبٍ وتفرُّقٍ وسفكٍ للدِّماء، لا يمكن أن تقوم معها حياة دينية ولا دنيوية صحيحة مستقرَّة.

---

١ انظر: الملك الرَّاشد ص 358

٢ البلاد العربية السُّعُودِيَّة ، فؤاد حمزة ، ص 104

٣ من شيم الملك عبد العزيز 194/3

وقد انتشرت هذه الهجر حتى زادت على المائة خلال فترةٍ وجيزة، وكانت أول الهجر التاريخية الشهيرة هي "هجرة الأرطاوية" التي بُنِيَت سنة 1330هـ١.

وقد نجح العلماء والمرشدون الذين وجّههم الملك عبد العزيز رحمه الله إلى الهجر في إعادة نور التوحيد وترسيخ العقيدة السلفية الصحيحة في سُكّان هذه الهجر.

فأثمر هذا النجاح الوحدة والائتلاف والتعاون بين القبائل على أساس عقيدة التوحيد، وبتوفيقٍ من الله تعالى أُزيلَت جميع مظاهر الشِّرك، واستنار الناس بالعلم، وأصبحت الهجر موطناً ومنطلقاً للتوحيد.

يقول حافظ وهبة: "إنَّ من أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبد العزيز: مشروع تحضير البادية وإقطاعهم الأراضي للسكنى والزراعة، وتعليم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق، ولا شكَّ أنَّه حصل نجاح عظيم لإصلاحات الملك عبد العزيز، وإقبال على دين الله خاصّةً من البدو الرُّحل، فقد أقبلوا على الهجر يبنونها بمساعدة الملك عبد العزيز، ويبني لهم المساجد، ويبعث إليهم المشايخ والأئمة وطلبة العلم يُعلِّمونهم دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، حتى تَمَّ تهجيرهم، وأقبل الناس على بناء حضارة إسلامية، وأغدق الله عليهم من نعمه الكثيرة في الدين والدنيا، والعلم، والقراءة، والأمن، والاستقرار، وما لا يحصى من النعم"٢.

وبهذه الجهود المثمرة، والإصلاحات الاجتماعية العظيمة، والموفقة، يتبيَّن لنا أنَّ الملك عبد العزيز قد عالج الجهل بالتعليم، وعالج الفقر بتوفير سُبُل الرِّزق الحلال، وعالج العداوة والنزاعات القَبَلِيَّة، وظاهرة الأخذ بالثأر، بتحقيق التآخي والألفة والمحبة والثقة، وعالج التفرقة بالاتحاد والائتلاف، "ومنع الغزو بين القبائل، وأحلَّ الإخاء والسلام والأمن بين الجميع"٣.

كُلُّ ذلك جمعاً للكلمة، وعملاً بقوله تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}** ٤.

وكان ذلك تأسِّياً بالنبي صلى الله عليه وسلم حينما آخى بين أصحابه - رضوان الله تعالى عليهم -، من المهاجرين والأنصار.

لقد غرس الملك عبد العزيز - رحمه الله - في هذه الأرض الطيبة وحدة الصَّف، ووحدة الكلمة تحت راية التوحيد، وفي ظلِّ الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة توحَّدت الأقاليم، وتوحَّدت الجماعات، حتى أصبحت المملكة نموذجاً رائعاً، ومثلاً حياً للوحدة الوطنية الإيمانية، وحدة تعي واجباتها نحو ربها، ونحو ولاة أمرها، ونحو بلادها ومجتمعها.

قال عزَّ وجلَّ **{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرض جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**٥.

المبحث التاسع: القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يُعَبَّرُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في اصطلاح السَّلَف بالحِسْبَة حيث عرَّفوها بأنَّها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله٦.

---

١ انظر: من حياة الملك عبد العزيز للأحيدب ص 190 بتصرُّف .

٢ جزيرة العرب في القرن العشرين ص 289

٣ انظر: الملك الرَّاشِد ص 307

٤ آل عمران: 103

٥ الأنفال: 63

٦ انظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص 240، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي ص 284 - 287

والأمر في اللغة ضِدّ النهي، قال تعالى: **{وأمرنا لنُسْلم لربِّ العالمين}**[١].

والمعروف شرعاً: اسم جامع لكُلِّ ما عرف من طاعة الله والتقرُّب إليه والإحسان إلى الناس، وكُلّ ما ندب إليه الشرع في المقومات والمحسنات، وهو من الصفات الغالبة[٢].

والنهي لغةً: المنع، والزجر، وهو خلاف الأمر.

والمنكر لغةً: الإنكار والجحود[٣].

والمنكر شرعاً: كُلّ ما قبَّحه الشرع وحرَّمه وكرهه فهو منكر[٤].

وقيل: ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً[٥].

ومن الأدلة على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته، قوله تعالى: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[٦]. وقوله عزَّ وجلَّ: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}**[٧]. وقوله سبحانه: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}**[٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"مَنْ رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[٩]. وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهوِنَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم"[١٠]. إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته، وفي فضله، وفضل القائمين به.

وعندما فتح الملك عبد العزيز - رحمه الله - مدينة الرياض سنة 1319هـ، واستقرَّت الأمور نسبياً، كلّف بعض الشيوخ الأفاضل، ليقوموا على ولاية الاحتساب، ومِنْ ثَمَّ فقد تَمَّ تنظيم أمور

---

[١] الأنعام: 71

[٢] انظر: لسان العرب 240/9 ، النهاية في غريب الحديث والأثر 216/3 ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الماضي والحاضر ، لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن مُحَمَّد آل الشيخ ص 7

[٣] لسان العرب 343/15-344

[٤] المرجع السابق.

[٥] تيسير الكريم الرحمن ، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي 406/1

[٦] آل عمران: 104

[٧] الحج: 41

[٨] آل عمران: 110

[٩] صحيح مسلم 69/1 كتاب الإيمان ، رقم 78 ، وسنن أبي داورد 677/1 ، كتاب الصلاة ، رقم 1140 ، وسنن الترمذي 469/4-470 ، كتاب الفتن ، رقم 2172 ، وسنن النسائي 111/8 ، كتاب الإيمان ، رقم 508 ، وسنن ابن ماجه 406/1 ، كتاب إقامة الصلاة ، رقم 1275

[١٠] سنن الترمذي 468/4 أبواب الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رقم 2169.

هذه الولاية.
وقام الملك عبد العزيز - رحمه الله - بتزويد المحتسب ببعض الرجال من أعوانه وجنوده، واتسع نطاق الحسبة ليشمل تولي أمورها في المنطقة الوسطى والشرقية والحدود الشمالية، مِمَّا استدعى إيجاد مقر دائم للرئيس العام بمدينة الرياض.
ونظراً لكون الدَّولَة السُّعُودِيَّة قامت على أُسُس إسلامية سلفِيَّة، ولإيمان الملك عبد العزيز - رحمه الله - بأهمية دور ولي الأمر في تنظيم ولاية الحِسْبة والقيام عليها، ورغبةً منه في حماية الشريعة الإسلامية، والحفاظ على الأخلاق العامَّة للمجتمع، فقد تمَّ على يديه تأسيس أول هيئة لنظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمكَّة المكرَّمة سنة 1344هـ.
وقد تشكَّلت الهيئة من علماء مكة ونجد.. وكان الهدف من إنشائها هو مراقبة تنفيذ أحكام الشرع وإقامة الشعائر، وحثّ الناس على الطاعة١.
وجاء في قرار إنشائها البنود التالية:
1 - تتبع المعاملات والعادات، فما وافق الشرع منها تقره، وما خالفه تزيله.
2 - منع البذاءة اللسانية التي تعوَّدها السوقة.
3 - حث الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة.
4 - مراقبة المساجد من جهة أئمتها ومؤذنيها ومواظبتهم، وحضور الناس بها، وغير ذلك من دواعي الإصلاح.
5 - أن تتخذ في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميع الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. وإذا أعياها أمرٌ من الأمور رفعت مذكرة إلى ولي الأمر لإجرائه٢. لإجرائه٢.
وقد كان من الأمور الجديرة بالإشارة والإعجاب أن أنشأ الملك عبد العزيز - يرحمه الله - هذه الهيئة وهو لا يزال يخوض غمار توحيد أقاليم المملكة.
ومع أنَّه لا يمكن إغفال الأثر الذي ترتَّب على تأسيس هذه الهيئة، إلاَّ أنَّه لا يمكن إغفال جهود الملك عبد العزيز - رحمه الله - الشخصية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمتمثِّلة في رسائله ومناصحته للأمراء وعامَّة الناس، بوجوب التزام الطاعات، والانتهاء عن المنكرات.
وقد عرف عن الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنَّه كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، متمسكاً بأحكام الشريعة الإسلامية، قولاً وعملاً، في كافة المجالات، عاملاً بما يحقِّق المصلحة لبلاده وشعبه، محبّاً للعلماء كثير التوجيه والنُّصْح والإرشاد لهم، إيماناً منه بأنَّ محبة الخير لإخوانه كمحبته لنفسه٣.
وقال - رحمه الله - في اجتماعٍ له بموظفي الدَّولَة: "نحن وضعنا جماعة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، فبلاغاتها ومقرراتها تشمل الجميع على السواء، وأنتم يا جماعة الموظفين أحق الناس باتباع أوامرها واجتناب منهياتها، فإنَّكم أنتم المكلفون بتنفيذها، فإذا كنتم لا تبدأون بأنفسكم وتكونون قدوة صالحة للناس يصعب تطبيقها وتنفيذها"٤.
ومن الجدير بالذِّكر أنَّ التطور الذي شهدته الدَّولَة السُّعُودِيَّة في عهد الملك عبد العزيز،

---

١ انظر: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ، ص 24

٢ انظر: أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود ص 211

٣ انظر: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ، ص 31

٤ انظر: الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد بن ناصر الشثري 332/1 ، نقلاً عن جريدة أُمِّ القرى ، العدد 142 في 6 ربيع الأول 1346 هـ.

والنمو الذي حدث في النواحي السياسية والإدارية في البلاد - بعد التوحيد - أظهرت مجالات أخرى ذات صلة بمجالات الاحتساب، منها: الجهات القضائية المختلفة، والجهات الأمنية المختلفة.

إنَّ مهمَّة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هي مهمة الرسل والمؤمنين بالله تعالى، وذلك بالدَّعْوَة إلى الله بالترغيب والترهيب، والنصح، والإرشاد، والتذكير، والتبليغ، وإظهار الدين، وإقامته كما أراد الله ورسله، وإعلاء كلمة الله، والتعاون على البرِّ والتقوى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

وإنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص هذه الأمة التي تمتاز بها على سائر الأمم، كما قال تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}**١.

فاتَّصفت بالخيرية، لأنَّ الله قد هيَّأ لها من الأسباب والدلائل والآيات ما يمكِّنها من القيادة الرائدة لهداية العالم المملوء بالشرور وضروب الفساد. والأمة الإسلامية ما دامت مهيأة لهذه القيادة، فينبغي أن تكون مطيعة لله، جاعلة من شريعته منهجاً للحياة في كُلِّ المجالات.

والملك عبد العزيز - رحمه الله - قام بهذا الواجب الشرعي، فمكَّن الله له في الأرض، وبعث له خزائنها، وما ذلك إلاَّ لقيامه بمقومات التمكين من عبادة الله وحده، ونبذ البدع والخرافات، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من الأعمال الصَّالِحة.

قال تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**٢.

وقال سبحانه: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}** ٣.

المبحث العاشر: التعاون بين الراعي والرعية:

وإنَّ من آثار الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة في توحيد المملكة ما استنه الملك عبد العزيز - رحمه الله - من سُنَّةٍ حسنة، حيث فتح باب مكتبه وباب قصره لأي مواطن يرغب الاتصال به.

وقد كتب منشوراً، وعلَّقه بالحرم النبوي الشريف، جاء فيه: " من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود.. إلى شعب الجزيرة العربية، على كُلِّ فردٍ من رعيتنا يُحِسّ أنَّ ظلماً وقع عليه، أن يتقدَّم إلينا بالشكوى. وعلى كُلِّ مَنْ يتقدَّم بالشكوى، أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كُلّ موظَّف بالبريد، أن يتقبَّل الشكاوى من رعيتنا ولو كانت موجهة ضد أولادي، أو أحفادي، أو أهل بيتي. لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر أحد، أو عدم نجدة مظلوم، أو استخلاص حق مهضوم، ألا قد بلَّغت، اللَّهُمَّ فاشهد"٤.

وكان - رحمه الله - حريصاً على الاهتمام بشؤون رعيته، ورعاية جميع مصالحهم، والسؤال عن أحوالهم، وتفقد شؤونهم، ومدّ يد العون لهم في نوائبهم، وإكرام كبرائهم، والعطف على فقرائهم ومحتاجيهم، وكان يدفع ديون السجناء والمعسرين، ويأمر بإطلاق سراحهم، كان يختلط بجميع طبقات الشعب، الفقير والغني، والجاهل والمتعلِّم، وكان للعلماء مجلس خاص، يجتمع

---

١ آل عمران: 110

٢ النور: 55

٣ الحج: 41

٤ المصحف والسيف لمحي الدين القابسي ص 293 ، الدَّعْوَة في عهد الملك عبد العزيز ، د. مُحَمَّد بن ناصر الشثري 1/129-130

بهم ويستفتيهم في بعض الأمور، فتأتيه الفتوى في الحال وخاصّةً في تنفيذ الحد الشرعي في جرائم الحدود...١.

ومن خطبةٍ له في المدينة المنورة سنة 1346هـ: "إنَّني أعتبر كبيركم بمنزلة الوالد، وأوسطكم أخاً، وصغيركم ابناً، فكونوا يداً واحدة، وألِّفوا بين قلوبكم، لتساعدوني على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقنا".

"إنَّني خادم في هذه البلاد العربية، لنصرة هذا الدين، وخادم للرعية. إنَّ الملك لله وحده، وما نحن إلاَّ خدم لرعايانا، فإذا لم ننصف ضعيفهم، ونأخذ على يد ظالمهم، وننصح لهم، ونسهر على مصالحهم، فنكون قد خُنَّا الأمانة المودعة إلينا ".

"إنَّنا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنَّما يهمنا القيام بحق الواجب لكلمة التوحيد، والنظر في الأمور التي توفر الرَّاحة والاطمئنان لرعايانا...".

إلى أن قال: "إنَّ من حقِّكم علينا النُّصْح لنا، فإذا رأيتم خطأً من موظَّف، أو تجاوزاً من إنسان، فعليكم برفع ذلك إلينا لننظر فيه، فإذا لم تفعلوا ذلك فقد خنتم أنفسكم ووطنكم وولاتكم"٢.

ويقول - رحمه الله: "فليس بيننا وبين أحد حجاب، فباب قصرنا مفتوحٌ لكُلِّ إنسان، ونحن ولله الحمد ما زلنا نوصي مأمورينا كلهم بتمشية أمور الناس، وتسهيل مصالح الرعية"٣.

ويقول - رحمه الله: "يعلم الله أنَّ كُلَّ جارحة من جوارح الشعب تؤلمني، وكُلَّ شعرة منه يمسها أذى تؤذيني، وكذلك الشعب فإنَّه يتألم إذا أصابني أي شيء، ولكن المصلحة العامَّة تضطرني بأنْ أقضي على مَنْ لا يصغى للنصح والإرشاد، وأن أتجرَّع ألم ذلك حفظاً لسلامة المجموع"٤.

ويقول - رحمه الله: "إنَّ على الشعب واجبات، وعلى ولاة الأمور واجبات، أمَّا واجبات الشعب فهي الاستقامة، ومراعاة ما يرضي الله ورسوله، ويصلح حالهم، والتآلف والتآزر مع حكوماتهم فيما فيه رقي بلادهم وأمنهم، وينصحونهم ويخدمونهم، ويقومون بكُلِّ ما فيه مصلحة المسلمين وفائدتهم.

إنَّ خدمة الشعب واجبة علينا، لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرى أنَّ مَنْ لا يخدم الشَّعب ويخلص له فهو ناقص"٥.

ومن هذا يتبيَّن لنا أنَّ الأسلوب السلفي الذي انتهجه الملك عبد العزيز في الاهتمام بشؤون الرعية، والقيام بمصالح الشعب، والقرب منهم، والعمل على حلِّ مشاكلهم، وقضاء حوائجهم، والعدل بينهم، كان له الأثر البالغ في محبة الشعب لمليكه، وتعاونهم معه بجدٍ وإخلاص في توحيد المملكة.

وعلى هذا المنهج سار أبناء الملك عبد العزيز البررة، فأبوابهم مفتوحة للجميع، واهتمامهم بالوطن والمواطن ليس له حدود، فآذانهم صاغية، وعيونهم ساهرة من أجل راحة الجميع، وخيرهم واصل للصغير والكبير، ولم يقتصر ذلك على المواطن والمقيم، بل تجاوز ذلك إلى جميع أبناء المسلمين في كُلِّ مكان.

يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله - موضِّحاً للعلاقة بين

---

١ في آفاق التربية الوطنية ، د. سليمان الحقيل ص 49

٢ انظر: الملك الرَّاشد ص 360

٣ انظر: الملك الرَّاشد ص 358

٤ انظر: الملك الرَّاشد ص 381

٥ انظر: الملك الرَّاشد ص 377

الحاكم والمحكوم في المملكة: " فنحن نعتبر أنفسنا جزءاً من هذا الشعب، وليس هناك تمايز بين الكبير والصغير، فأبواب المسئولين مفتوحة لأي مواطن"١.

الخاتمة

وبعد حمد الله على فضله وتوفيقه بإتمام هذا البحث المتواضع، أودّ أن أقتطف أهم النتائج التالية:

1 - إنَّ العقيدة هي القاعدة الأساس لهذا الدين، وهي مناط النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

2 - إنَّ الدَّعْوَة إلى منهج السَّلَف الصَّالِح أمرٌ يجب اتباعه والأخذ به، وذلك هو طريق الطائفة المنصورة، وهو طريق أهل السُّنَّة والجماعة، المتمسكين بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - والتابعين وأئمة الهدى من قديم الدَّهر وحديثه.

3 - إنَّ دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب - رحمه الله - هي في حقيقتها دعوة لإحياء عقيدة السَّلَف الصَّالِح، قامت على الكتاب والسُّنَّة وفهم السَّلَف الصَّالِح.

4 - إنَّ أئمة الدور السعودي الأول، قد ناصروا دين الله، وإكرام علماء السُّنَّة، وساروا على المنهج السلفي الذي سلكه الإمام مُحَمَّد بن سعود والإمام الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - في بيان العقيدة الصحيحة، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، وإقامة الجهاد على أعداء الإسلام وأعداء الدَّعْوَة.

كما أنَّ الدَّعْوَة السَّلَفِيَّة ظلَّت قوية منصورة طيلة حكم الدَّولَة السُّعُودِيَّة الثانية.

5 - إنَّ هذه الدَّعْوَة المباركة التي قام بها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب وأيدها ونصرها الإمام مُحَمَّد بن سعود، لم تسلم من حروب شنَّها عليها أعداؤها أعداء الدين، ولكن الله تعالى ناصر دينه، ومعلي كلمته، ومتم نوره ولو كره الكافرون. قال تعالى: **{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ}**٢.

فحقَّق الله لعباده المؤمنين وعده بالنصر والتمكين على يد الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود - رحمهم الله.

6 - إنَّ دور العلماء السلفيين، والسمعة الطيبة للدولة السعودية في عهودها السابقة، وتطلع مجتمع الجزيرة العربية إلى قيام دولة تصحح العقيدة، وتطبق الشريعة، وتقيم الأمن والعدل بين الناس، عوامل ساهمت في قيام المملكة العربية السُّعُودِيَّة.

7 - إنَّ الصفات التي تحلَّى بها الملك عبد العزيز - يرحمه الله - من قوة إيمانه بالله، وثقته به، وتوكله عليه، وملازمته لطاعة ربه، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإخلاص العبادة لله وحده، وما تحلَّى به - رحمه الله - من حكمة في معالجة الأمور، وشجاعة، وقوة في الرأي وبُعْد في النظر والعفو عند المقدرة، وتواضع ووفاء لأصدقائه، وغيرها من صفات عظيمة وسجايا كريمة، كان لها الأثر الكبير في مودَّة الناس له، والترحيب به، والالتفاف تحت رايته.

8 - إنَّ تصحيح العقيدة، واتخاذ المنهج السليم القائم على الكتاب والسُّنَّة على فهم السَّلَف الصَّالِح، وإخلاص العمل له وحده، وتجريد المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم لهي من أعظم الأسباب التي تحقق للمسلمين ألفتهم، وتوحّد صفوفهم، وتعينهم على لزوم الجماعة التي أمروا بها.

وقد استطاع الملك عبد العزيز - يرحمه الله - بفضل الله وعونه وتوفيقه أنْ يؤسِّس المملكة

---

١ مجلة المنهل ، العدد 346 السنة 51 المجلَّد 46 ص 53

٢ الرعد: 17

العربية السُّعُودِيَّة على هذه الأُسُس، وأن يوحدها تحت راية التوحيد، التي رفعها عالية خفَّاقة على أرض الجزيرة العربية، فأعزَّ الله به أهلها بعد أن كانوا في ذلة، وأغناهم بعد فقرهم، وعلَّمهم بعد جهلهم، وأمَّنهم بعد خوفهم، وجعلهم في المقدِّمة بعد تخلُّفهم.

9 - لقد بذل الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الكثير والكثير من الجهد والجهاد في سبيل الوصول إلى توحيد المملكة، ومِنْ أجل إعلاء كلمة لا إله إلاَّ الله مُحَمَّد رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ومن أجل إقامة هذا الصرح الشامخ والكيان الكبير، وعمل على كُلِّ ما يُحَقِّق الخير لأمَّته، ويؤثر في حاضرها ومستقبلها.

فاتَّخذ - رحمه الله - كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم دستوراً لبلاده، ومنهجاً لرعيته، وقرَّب العلماء لاستشارتهم في أمور الدين، وتنفيذ أحكامهم، والعمل بنصائحهم وفتاويهم، مع ما عُرِفَ عنه - رحمه الله - من فكرٍ سديدٍ، وإدراكٍ عميق، واعتقادٍ سليمٍ، وحُرِّيَّةٍ في الاختيار، وقوة في الإرادة، وسعة في الأفق، ويشاركهم في التوجيه والنصائح، والدَّعْوَة والإرشاد إلى عقيدة السَّلَف الصَّالِح. لأنَّه يدرك أهمية العَالِم المُتَخَصِّص، ويعلم أنَّ ذلك هو المنهج الصحيح.

وركَّز - رحمه الله - على العقيدة السَّلَفِيَّة، وحمايتها، والذَّبِّ عن حياضها، والوقوف بقوة وحزم أمام الأفكار والمذاهب الهدَّامة، واهتمَّ بنشر العلم، وتوطين البادية، والمؤاخاة بين القبائل، وتطبيق الشريعة، وإقامة الحدود، وتحقيق الأمن والاستقرار، والأخذ بمبدأ الشورى، والأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنُّصح للمسلمين، واتَّخذ سياسة الباب المفتوح، والاهتمام بشئون الرعية، ورعاية مصالح الشعب، والعمل على حَلِّ مشاكله، وقضاء حوائجه. مِمَّا كان له الأثر البالغ في محبَّة الشعب لراعيه وولي أمره، وتعاونه معه بجد وإخلاص في توحيد البلاد والعمل على رقيها وتقدُّمها.

وليس في مقدور الباحث أن يحيط بأبعاد شخصية الملك عبد العزيز، وعبقريته، وأعماله، وسداد رأيه.

ولكن من المعلوم أنَّ الملك عبد العزيز لَمَّا قام بدين الله، والعمل بكتابه، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحكيم شرعه، ونشر عقيدة السَّلَف الصَّالِح، مكَّن الله تعالى له في الأرض، واستطاع بفضل الله تعالى وعونه وتوفيقه، أن يؤسِّس بنياناً شامخاً، ويقيم صرحاً كبيراً، ويضع نهضةً حضارية ما زال أبناء هذا البلد العزيز يسعدون بنعيمها، ويعيشون في ظلالها، تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، وولي عهده الأمين الأمير عبد الله، والنائب الثاني الأمير سلطان.

لذا فإنَّه يجب علينا أنْ نتمسَّك بعقيدتنا الصحيحة التي قامت عليها هذه الدَّولَة المباركة، فما نعيشه من أمنٍ واستقرارٍ ورخاءٍ إنَّما هو بفضلٍ من الله تعالى، ثُمَّ بالتمسك بهذه العقيدة، وتطبيق أحكامها. وأن نشكر الله تعالى على ما نحن فيه من نعمةٍ عظيمة، فإنَّ دوام النِّعَم واستمرارها مرهونٌ بشكرها، وذلك بشكر المنعم بها، وهو الله تعالى، ثُمَّ بشكر ولاة الأمر الذين تحقَّقت على أيديهم - بتوفيقٍ من الله وفضل - هذه النِّعَم.

كما أنَّه يجب على كُلِّ مَن يقيم على أرض هذه البلاد الطيبة، أن يجعل من نفسه رجل أمن، سواء كان فلاَّحاً، أو عاملاً، أو تاجراً أو موظَّفاً، أو معلِّماً، أو طالباً، أو غيره، لأنَّ النعمة التي نعيشها ليست لشخصٍ دون آخر، وإنَّما هي نعمةٌ للجميع. كما يجب علينا أن نصون عقول شبابنا مِنْ آثار الغزو الفكري، والأفكار الهدَّامة، والحفاظ على عقيدتهم صافية نقية.

وفي الختام أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يديم علينا أمننا وإيماننا، وأن يوفِّق ولاة أمرنا لِمَا يحبه ويرضاه، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالمين